

المجلة

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

برل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

مجلة أسبوعية للقصص والدراسات

نصدر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الرابع عشر ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٦ - ١٥ أغسطس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

مسابقات الرواية

١ - سابقة القاتل في مذكرات نائب في الأرياف

اشترك في هذه المسابقة قرابة ألف كاتب،
ولكن أحداً منهم لم يوفق إلى الحل الذي انتهت
به هذه القصة في العدد الماضي من الرواية وهو حفظ
القضية لعدم معرفة القاتل. ولذلك لم يظفر أحد بالجائزة

٢ - مباراة الأقصوص

تجمع لدينا في هذه المباراة ثلاث وسبعون
وأربعمئة أقصوصة من مختلف الأقطار العربية. ولما
كان الأساتذة الذين ستؤلف منهم لجنة التحكيم
قد تركوا القاهرة للاصطياف في أماكن متفرقة،
اضطربنا إلى تأجيل تأليف هذه اللجنة إلى أول
الخريف. على أننا نستطيع أن نعلن من الآن أن اللجنة
ستؤلف من الأساتذة: توفيق الحكيم، محمد فريد
أبو حديد، إبراهيم عبد القادر المازني، محمود تيمور
ثم رئيس تحرير هذه المجلة.

فهرس العدد

صفحة	
٨٤٢	الحب للكاتب الروسي { الأستاذ عبد الحميد حدى أنطون تشيخوف ...
٨٤٨	شيخ كاتريفيل للكاتب { بقلم الأستاذ بشير الصريحي الأنجليزى اسكاروايلد
٨٦٥	الفتاة التي سلبتني ولدى { بقلم إميل فرج ... مترجمة عن الأنجليزية
٨٧٥	الأحجار الجامعة للشاعر { للأديب شاكر محمد عياد الفيلسوف رايندراغات طاغور الهندي ...
٨٨١	أجلافيين وسيليزيت { بقلم الدكتور محمد غلاب رواية خشيية لموريس مارتنك
٨٩٤	اعترافات في العصر { بقلم الأستاذ فليكس فارس لألفريد دي موسيه
٨٩٩	الأوذيسة لهوميروس { بقلم الأستاذ دريني خشيبة

كتابة هذا الخطاب
خمس مرات ، وكنت
في كل مرة أمزق
الورق وأحو صفحات
كاملة وأعيد كتابتها ،
ولقد قضيت في
كتابته من الوقت
ما يكفي لكتابة قصة
كاملة وتهيئتها . ولم
يك ذلك لأنني حاولت
أن أزيد الخطاب طولاً

الحب

للمطالعة الكبرى انطون تشيروف
بمقدم الاستاذ عبد الحميد حدي

أو أن أبلغ في تنميته واذكاء ناره حماسه ، ولكن
لأنني أردت أن أطيل إلى غير نهاية زمن الكتابة
بينما أنا جالس في هدوء مكتبي أناجي نفسي بأحلام
يومي ، وليلة الربيع الجميلة مطلة على من خلال نوافذني ،
ولقد كنت أرى في ثنايا الأسطر طيفاً محبباً إلى
نفسي ، وخيل إليّ أن على المائدة التي أنا جالس
عليها أرواحاً هي مثلي في سذاجة سعادتها ، وفي
غفلتها ، وفي ابتسامتها الهنية . ولقد مضيت أكتب
في استمرار ، ناظراً إلى يدي التي ما زالت تتوجع
في لذة حيث ضغطتها يد « ساشا » في آخر مرة
التقيت بها . ولما حولت عيني عن يدي تخيلت منظر
الشعرية (١) الخضراء على الباب الصغير . فمن خلال
هذه الشعرية نظرت « ساشا » محدقة إلى بعد أن
ألقيت إليها بكلمة الوداع ، وعند ما كنت أودعها لم
أكن أفكر في شيء ، ولم يكن مستولياً عليّ غير
شعور الإعجاب بقوامها إعجاب كل رجل محترم بامرأة
جميلة . ولما رأيت من خلال فتحات الشعرية عينيها
(١) الشعرية شبكة من الأخشاب الدقيقة توضع في الطاقة
أو غيرها لحجب النظر من الخارج إلى الداخل .

« الساعة الثالثة صباحاً ، وليلة إبريل الهادئة
الصافية تطل على من توافد غرفتي ، غامرة لي
بنجومها ، في رقة وفي لطف ، وما أستطيع أن أنام
فأني لجد سعيد !
« وإن كياني كله من قمة رأسي إلى أخمص قدمي
ليفيض بشعور غريب لا يدرك العقل كنهه ، ولست
بقادر على أن أحلل هذا الشعور — في ساعتى
هذه — فوقتي لا يتسع لهذا التحليل ، وإنى لكسول
مفرق في الكسل ؛ ثم إن هناك إلى جانب ذلك ...
ألا بعداً للتحليل ! وهل من اليسور أن يفسر
الرجل شعوره وهو يهوى على قمة رأسه ساقطاً
من فوق قبة ناقوس ؟ أو هل يستطيع الرجل أن
يفسر شعوره في اللحظة التي علم فيها أنه قد ربح
مائتي ألف من الروبلات ؟ أو يكون مثل هذا
الرجل في حال تسمح له بالتحليل ؟ »

هذه هي ، على التقريب ، الكلمات التي بدأت
بها خطاب غرامي إلى « ساشا » وهي فتاة في التاسعة
عشرة من عمرها وقعت في أشراك حبها . لقد بدأت

بعد إلقائه خطاب غرامه إلى حبيبته في صندوق البريد ، وكيف يسرع في الدخول إلى سريره وفي جذب اللحاف حتى يغطي وجهه ، معتقداً الاعتقاد كله أنه متى استيقظ من النوم في الصباح فستفهمه ذكريات اليوم السابق ، وسينظر نظرة تفيض فرحاً وسروراً إلى النافذة حيث يندفع ضياء النهار من خلال ستارها في قوة وحماسة .

واليك الواقع ... في منتصف نهار اليوم التالي جاءني خادم « ساشا » يحمل الرد الآتي : « تأكد أنني مفروحة إذا تفضلت وحضرت عندنا اليوم وسأنتظرك . حبيبتك س »

ولم تكن في الرسالة أية علامة من علامات الترقيم ، وهذا الإهمال في الكتابة ، والخطأ في كتابة كلمة فرحة ، وما في الكتاب كله من ضعف في الانشاء ، وحتى المنظوف الطويل الضيق الذي وضعته فيه ، كل هذا ملأ نفسي بشعور من الحنان . ولقد رأيت في ثنايا خطها المفرطح الحى خيال مشيتها وطريقتها في رفع حاجبيها إذا ضحكت ، وحركة كشفيتها ولكن نفسي لم تقنع بما تضمنه كتابها ... وأول ما آخذه عليها أن كتب الغرام الشعرية لا يرد عليها بهذا الأسلوب ، وإنى لأتساءل بعد ذلك لماذا تدعوني إلى زيارة بيتها حيث أبقى تحت رحمة أن تفضل أمها الرشيقة أو إخوتها أو أقاربها المساكين بتركنا منفردين في الغرفة ؟ مثل هذا الخاطر لن يدخل رؤوسهم أبداً ، وليس أبغض إلى الانسان من أن يكبح جماح عواطفه لسبب واحد بسيط هو الحياء من تطفل امرأة عجوز نصف صماء أو طفلة صغيرة توجه إليه من الأسئلة المضجرة ما لا يرى معدى من الاجابة عليه ... لهذا بثت مع خادم « ساشا » جواباً على رسالتها سألتها فيه أن تتخير أحد الميادين

الواسعتين تحدقان بي علمت ، فجأة كما لو كان قد أوحى إلى ، أنني وقعت في شرك الغرام ، وأن الأمر كله قد سوى بيني وبينها ، وأن كل شيء قد استقر بالفعل فلم يبق على ما أعمله غير إتمام اجراءات شكلية معينة .

وإنه لمن بواعث الابتهاج أيضاً أن يختم الانسان خطاب غرام ، وأن يلبس في بطن قبعته وممطفه ، وأن يغادر البيت في هدوء ، حاملاً هذا الكنز النفيس إلى صندوق البريد . والسماء في هذه الساعة خالية من النجوم التي اختفت وحل محلها ، من جهة الشرق ، خيط أبيض طويل ، تقطعه في أكثر من ناحية ، سحب تعلو سطوح البيوت الصغيرة الحقيرة ، ومن هذا المحيط غمرت السماء كلها بضوء خفيف باهت . . . والبلدة نائمة ولكن عربات الماء قد خرجت إلى الطرقات ، وفي ناحية بعيدة يدوى في الجو صغير أحد المصانع لا يفاظ الناعمين من المال . وإنك لعل يقين من أن تجد إلى جانب صندوق البريد البلبل قليلاً بندى الليل ، هيكल أحد البوابين الضخم على كتفيه رداء من جلد الماعز وفي يده عصا يستند إليها ، وهو أشبه ما يكون بالتمثال الجامد لا يتحرك ، وما هو بالتأتم ولا بالصاحي ولكنه بين الحالتين .

ولو عرفت صناديق البريد كيف يلجأ إليها الناس في أغلب الأوقات لتعرف ما ينتهي إليه مصيرهم لما رضيت بما يبدو عليها من سماء التواضع . ولقد كنت على كل حال أقبل في أكثر المرات صندوق بريدي ، وكنت كلما نظرت إليه ذكرت أن مصلحة البريد هي أعظم النعم التي حظي بها الانسان .

وإنى لأرجو أى إنسان وقع يوماً في شرك الغرام أن يذكر كيف يسرع الانسان إلى بيته ،

الخيالية ، فقبلاتي وصمت الأشجار الظلمة والمواثيق التي أقطعها على نفسي . . . فلم تمر دقيقة نسيت فيها نفسها ، أو غلبها شيء على ما تفكر فيه ، أو سمحت للمعنى السرى البادئ على وجهها أن يفارقه . والحق أنه لو كان في مكان في تلك اللحظة إنسان سوى كائنا من كان لما كانت في حضرته بأقل شعوراً بالسعادة منها في حضرتي . وكيف يستطيع الإنسان في ظرف كهذا الظرف أن يعرف إذا كان محبوباً أو غير محبوب ؟ وكيف يستطيع أن يعرف إذا كان الحب هو « الشيء الحقيقي » أو لا ؟

ولقد أخذت « ساشا » من المتزه إلى بيتي . وليس حضور المرأة التي يحبها الإنسان إلى بيته — وهو أعزب — بأقل في نفسه أثراً من الخمر أو الموسيقى . والنألوف في موقف كهذا أن يبدأ الإنسان بالكلام في المستقبل ، وهو إذا تكلم في هذه الناحية لم يقف عند حد فيما يبدى من ثقة واعتزاز بالنفس ، وانك عندئذ لتضع المشروعات وترسم الخطط وتتكلم في حماسة عن رتبة القائد وإن لم تكن قد وصلت بعد إلى رتبة الملازم ، وفي الجملة أنك تهذى بمثل هذا السخف الضارب إلى العلاء ، حتى ليتطلب تصديق سامعك لما تقول أن يكون مغرمًا بك إلى أقصى حدود الغرام وأن يكون كذلك جاهلاً إلى أقصى حدود الجهل ، ومن حسن حظ الرجال أن النساء اللواتي يحببن تعميهن عواطفهن دائماً عن رؤية الحقائق فلا يعرفن شيئاً من شئون الحياة . وإنهن لبعيدات جداً عن أن يكذبن ما يسمعن ، وإنهن ليشعرن فعلاً بشيء من الرهبة المقدسة قهرّب الدماء من وجوههن ، وتفيض نفوسهن احتراماً ويتملقن في شره بالكلمات البادية الحساسة والجنون ، ولقد أصغت إلي « ساشا » في تنبه شديد

أو المتزهات فتضرب لي فيه موعد اللقاء ، ولقد قبول اقتراحى بالرضا في غير تردد ، فقد ضربت على الوتر الحساس كما يقول المثل .

وفيا بين الساعتين الرابعة والخامسة من مساء ذلك اليوم اتخذت طريق إلى أقصى حدود المتزه العام وأكثر نواحيه ازدحاماً بالأشجار وأكثفها نباتاً . ولم يك في المتزه كله مخلوق واحد ، ولعله كان من الأنسب أن يضرب الموعد في مكان أقرب كأحد الشوارع الكبرى أو تحت إحدى مظلات الحدائق الصغيرة ، ولكن النساء لا يردن أن تكون أعمالهن فيما يتصل بالخيال والغرام بين بين ، فهن يجبرن وراء خيالهن الشعري إلى آخر المدى — فإذا ضربن موعد اللقاء ضربته في أبعد الأدغال وأوعرها طريقاً ، حيث يتعرض الإنسان لخطر الاصطدام بشريز خشن أو سكير معربد .

ولما وصلت إلى المكان الذي تخبرته ساشا وجدتها واقفة وقد ولت ظهرها نحوى ، وكان في مقدورى أن أقرأ في ذلك الظهر كثيراً من الأسرار الشيطانية ؛ ولقد خيل إلي أن ظهرها ، وخلف عنقها ودثارها ، والنقط السوداء على رداؤها ، كل ذلك يقول : صه : ... كانت الفتاة مرتدية لباساً بسيطاً من القطن ألقت فوقه دثاراً خفيفاً ، ولتبالح في إحاطة نفسها بجو من الأسرار غطت وجهها بنقاب أبيض ولكي لا أفسد أثر هذا المظهر السحري تقدمت مني مشياً على طرفي قديمي ، وتكلمت في صوت أدنى إلى الخمس منه إلى الصوت المسموع

ومما أئذ كرهه الآن أنني لم أكن — إلى حد ما — بيت القصيد في هذه المقابلة إذا نحن تناولناها بشيء من التفصيل ، فلم يكن اهتمام ساشا بالمقابلة في ذاتها كاهتمامها بما يحيط بالمقابلة من الأسرار الشعرية

إليها لما كان هناك من شك في أن ترفع حاجبيها وتفكر لحظة ثم تقول كما قالت أولاً :
« جميع الأنواع »

ثم أوصلت ساشا إلى بيتها وصرت أزورها وأغادر دارها في انتظام ، وقد تمت الاجراءات الرسمية للخطبة ، ووقفت موقف الانتظار حتى يحين يوم الإكليل . ولو سمح لي القاريء أن أحكم على الأمور بمجرد تجاربي الشخصية لقلت إن « الخطبة » من الأمور الموحشة جداً ، فالإنسان في أثنائها يكون أبعد جداً من أن يكون زوجاً أو أن يكون شخصاً غريباً لا علاقة له على الإطلاق بالخطبية . فليس الرجل في هذه الحال بالزوج ولا بالرجل الغريب ، فقد ترك إحدى صفتي النهر ولم يصل إلى الضفة الثانية ، فلا هو بالتزوج ولا من الممكن أن يسمى أعزب

وصرت — في كل يوم — إذا وجدت لدى فترة فراغ من العمل قصدت إلى دار خطيبتي . وكنت كلما قصدت إليها حملت معي مقداراً عظيماً من الآمال والرغبات والنيات والاقتراحات والمبارات المختارة . وكنت دائماً أتصور ، لشدة ما أشعر به من الضيق والكآبة ، أن الخادمة لا تكاد تفتح الباب حتى أغوص إلى عنقي في بحر من السعادة المنعشة . ولكن الأمور كانت دائماً تنقلب إلى العكس من ذلك في الواقع . ففي كل مرة قصدت إلى زيارة خطيبتي وجدت أن أسرتها وكل من يحويه الدار مشتغلين بأمر « الجهاز » السخيف . (وعلى فكرة أقول إنهم كانوا منهمكين بالعمل في الجهاز منذ شهرين إنهما كما شديداً فجهمزوا أشياء تقدر بأقل من مائتي روبل) وهناك يشم الإنسان رائحة الكاوي ، ودهن الشموع ودخانها . وترتطم قدمه

ولكنني لم ألبث أن تبينت على وجهها أثر التفكير الشارد . فهي لم تفهم شيئاً مما قلت لها ، ولم يكن المستقبل الذي تحدثت عنه ليهما إلا من وجهته الظاهرة فقط . ولقد كنت أضيع وقتي في عرض خطتي ومشروعاتي عليها . فقد كان ههما كله منصرفاً إلى معرفة أية الغرف ستكون غرفتها ، وأى نوع من أنواع الورق ستغطي به جدران هذه الغرفة ، ولماذا فضلت البيان ^(١) المرتفع على البيان الضخم الذي يشغل حيزاً كبيراً من الغرف . . . وهكذا . وخصت في دقة جميع الأشياء الصغيرة الموضوعة على المائدة ، ونظرت إلى الصور الفوتوغرافية وشممت القناني وزعت طوابع البريد القديمة عن المظروقات قائلة إنها تحتاج إليها لأمر ما .

وقالت وقد تبهم وجهها :

« أرجو أن تجمع لي الطوابع القديمة ! ومن فضلك لا تنس ذلك »

ثم وجدت على قاعدة النافذة بندقة فكسرتها بصوت عال وأكلتها .

ونظرت إلى خزانة الكتب وقالت :

« لماذا لا تلتصق بطاقات صغيرة على ظهر كتبك ؟ »

« لماذا ؟ »

« أوه . . . لكي يحمل كل كتاب رقمه . . . »

ثم أين أضع كتبتي ؟ فإن لي أنا أيضاً كتباً كما تعلم فسألها :

« أي نوع من الكتب عندك ؟ »

فرفعت ساشا حاجبيها وفكرت لحظة ثم قالت :

« جميع الأنواع . »

ولو أنه خطر لي أن أسألها عن نوع تفكيرها وما تعتق من المذاهب وعن الاهداف التي ترمى ^(١) استعملت كلمة البيان بكسر الباء منذ سنوات تعريباً لكلمة بيان

مقدم رأسي . فلقد كنت مضطراً أن أصحب السيدتين إلى السوق ، وإنه لما يهد أعصابي ويضايق صدرى أن أصنى إلى النساء وهن يتمتعن شيئاً من الحوانيت ، فيساومن البائع المتنبه محاولات أن يغلبنه . ولقد كنت أخجل عندما أرى ساشا بعد أن تقلب كمية هائلة من البضائع وبعد أن تنزل بالثمن إلى النهاية الصغرى ، تخرج من الحانوت دون أن تشتري شيئاً على الإطلاق ، أو تطلب من التاجر أن يقطع لها من القماش ما لا يزيد ثمنه على نصف روبل

وإذ خرجت خطيبتى وأما من الحانوت أخذتا وقد بدت على وجهيهما علامات الغضب والجهد ، تتناقشان في أنهما قد أخطأنا فابتاعنا نوعاً ليس هو المطلوب ، لأن الوردات في القماش الجديد شديدة السمرة أو ما إلى ذلك

نعم إن فترة الخطبة لمن أثقل الفترات وأجلها للضيق ، وإنه ليسرنى أن قد انتهت هذه الفترة بسلام والآن أنا متزوج . وهذا هو المساء قد أقبل ، وأنا جالس في مكتبي أقرأ أحد الكتب ، وقد جلست ساشا ورأيت على الصفة تمضغ شيئاً في فمها في صوت مرتفع ، وإن بي الحاجة إلى قدح من البيرة فأقول : « ابحتي يا ساشا عن فتاحة القناني ، فقد تجدنيها في مكان ما هنا »

فتب ساشا من مكانها وتفتش مبعثرة رزمتين أو ثلاثاً من الورق ، وتسقط علبة الكبريت على الأرض ، ودون أن تجد الفتاحة تعود فتجلس صامتة لا تنبس بحرف ...

وتحضى خمس دقائق ثم عشر . . . وتبدأ أعصابي تنور من العطش والغضب ، فأقول ثانية :

« أرجو يا ساشا أن تبحتي عن الفتاحة »

فتب ساشا مرة أخرى وتعود إلى بعثرة الأوراق

يبكرات الحيط وتحطمها . وكانت الغرفتان الرئيسيتان مشحونتين بالوسائد المصنوعة من التيل وغيره من الأقمشة الناعمة . من بين هذه الوسائد أطل رأس (ساشا) الصغير وبين أسنانها خيط معلق ، ورحب جميع من في الدار من المشتغلين « بالجهاز » بصيحات السرور والابتهاج ، ولكنهم لم يلبثوا أن أدخلوني إلى غرفة الاستقبال حتى لا أعطل عملهم وحتى لا أرى ما لا يجوز أن يراه غير الأزواج . ولقد اضطررت ، وإن كان ذلك لا يتفق وشعورى ، أن أجلس في غرفة الاستقبال متحدثاً مع بيمنوفنا إحدى قريبات ساشا الفقيرات . وكان القلق والانفعال ياديين على ساشا فكانت تمر بي بسرعة ما بين لحظة وأخرى حاملة في يدها بعض أدوات التطرير أو غيرها من الأشياء التي تضايقني ، وتقول بحمية على نظراتي المتوسلة السائلة :

« صبراً ، صبراً ، فلن أعيب عنك أكثر من دقيقة ، ولكن انظر كيف أتلفت اللعينة استيانيدا مشد لباس الزفاف ! »

وبعد أن أنتظر عبثاً أن تني بما تفضلت به من وعد ، يضيق صدرى وتنور أعصابي وأترك البيت لأتجول في الطرقات مصطحباً عصاي الجديدة التي ابتعتها منذ عهد قريب

وكنت قد تفت مرة إلى اصطحاب خطيبتى في نزهة على الأقدام أو في عربة ، فلما وصلت إلى دارها وجدتها واقفة بالفعل مع أمها في ردهة الدار تبث بمظلتها مستعدة للخروج . ولقد بادرتني بقولها :

« أوه . . . إننا خارجتان إلى السوق فلا بد من أن نبتاع كمية أخرى من الكشمير ، وأن نغير هذه القبعة »

ولقد شعرت عندئذ كأن صدمة قوية قد أصابت

القريبة مني ، فيؤثر في صوت مضعها واحتكاك الورق
تأثير السكاكين إذا حكّت بعضها ببعض لإرهاقها .
فأقوم من مكاني وأبحث بنفسى عن الفتاحة فأجدها
آخر الأمر ، وأفتح زجاجة البيرة . فتجلس ساشا
بجوار المائدة وتبدأ تحدثنى في موضوع طويل
لا ينتهى . فأقول :

« يحسن أن تقرأى شيئاً يا « ساشا »

فتناول كتاباً وتجلس في مواجهتى وتبدأ تحرك
شفتيها . . . فأنظر إلى جبهتها الصغيرة وشفتيها
المتحركتين وأستغرق في التفكير . فأقول في نفسى :
« لقد قربت العشرين من عمرها . . . فلو قرأها
الإنسان بفتى في سنّها من الطبقة المثقفة فيا لعظم
الفارق الذى يحده بينهما ! فسيجد الفتى على شيء
من العلم والمبادئ والدكاء »

ولكننى لا ألبث أن أغتفر هذا الفارق اغتفارى
جبينها المائل وشفتيها المتحركتين . وإنى لأذكر

أننى في الأيام الماضية ، يوم لم أكن واقفاً تحت سلطان
الحب ، كنت أنقر من المرأة إذا رأيت بقعة على
جوبها ، أو إذا سمعت منها كلمة بلهاء ، أو لأنها
لا تحسن تنظيف أسنانها ، والآن أرانى أغتفر كل
شيء ! المضع ، والعبث بالأوراق عند التفتيش عن
الفتاحة ، وعدم اتساق الملابس ، والكلام الطويل
فما لا فائدة منه . أغفر ذلك كله على غير شعور
أو إرادة منى ودون أن أحمل إرادتى أى مجهود في
سبيل ذلك . كأنما أغلاط ساشا هى أغلاطى الشخصية .
وهناك كثير من الأشياء التى كانت في الماضى تزعجنى
وتثيرنى قد أصبحت اليوم تبعث إلى نفسى الحنان
والإشفاق ، بل إنها لتغمرنى أحياناً بمواطف الغرام .
وتفسير هذا التسامح في كل شيء منطوق في حبي
ساشا ، ولكن ما هو تفسير الحب نفسه ؟ الحق
أننى لا أستطيع أن أفسر الحب .

ترجمة عبد الحميد ممدى

الفلاح المصرى يزرع القطن .

والعامل المصرى يغزله وينسجه

فالقطن ثروتكم وهو فخركم

أعدته لكم منسوجات لا تقارن في جودتها

شركة مصر للغزل والنسيج

اشتروا ما يلزمكم من

شركة بيع المصنوعات المصرية

ومن فروعها بالقطر المصرى ومن تجار المانيفاتورة

عن عيني ليدى
كانتريفيل .

فأجاب الوزير:

سأدفع ثمن الشبح

ياسيدى اللورد كما

أدفع ثمن رياش

القصر . أنا من عالم

يبتاع فيه المال كل

شيء ، ويطنى شبانه على العالم

القديم من حين الى حين

يصبغونه بالحررة ويحملون الى

بلادهم أشهر ممثلاتكم وأعظم

عقيلاتكم . وانى لأقرر هنا أن

هذا الشيء الذى نتحدث عنه

إذا عد شبحاً في أوروبا فانا

نضعه في بلادنا في أحد

المتاحف العمومية في وقت

قصير أو في الطريق ليتفرج عليه الغادى والرائح

قال لورد كانتريفيل مبتسماً — أخاف أن يكون

الشبح موجوداً . إنه معروف منذ ثلاثة قرون : أعنى

منذ سنة ١٥٨٤ ؛ ومن عادته أن يظهر قبل موت

أى فرد من أسرتنا .

— حسن . هذا هو اعتقاد العائلة في هذه المسألة؛

وفي رأيي أنه ليس هناك من شبح ؛ وأحب أن

أصارك ياسيدى أن قوانين الطبيعة لا يمكن أن

تكون يوماً من الأيام خاضعة للأرستقراطية الانكليزية

أجاب لورد كانتريفيل دون أن يدرك تماماً مغزى

الملاحظة الأخيرة : إذا كنت لا تكترث بالشبح يقيم في

المنزل فهذا حسن ، ولكن أرجو ألا تنسى أنى حذرناك .

شبح كانتريفيل

للكاتب الانجليزى الكاروايلد
بسم الأستاذ بشير الشيريتى



حينما ابتاع السيد هيرام .

ب . أوتس الوزير الأمريكى

قصر كانتريفيل الصيغى خطاه

الناس أجمعون وقالوا له إنك

تتصرف تصرفاً سخيفاً لأن

القصر مسكون لا يشك في

ذلك أحد ، حتى لورد كانتريفيل

نفسه الرجل الطيب النبيل قد

رأى أن من واجبه أن يلفت

نظر السيد أوتس إلى هذه الحقيقة حينما شرع

يبحث معه ثمن القصر .

قال لورد كانتريفيل — لقد أهملنا مكفى هذا

القصر منذ اليوم الذى أغمى فيه على عمى المجوز

إغماء لم تشف منها أبداً متأثرة من يدين عظيمنتين

وضعتا على كتفها وهي ترتدى ثوب الغداء — وأرأى

مضطراً أن أخبرك ياسيد أوتس أن أفراداً من عائلتنا

عديدين قد شاهدوا الشبح ، كما أن أسقف الأبرشية

أوغسطس دامبير قد شاهده أيضاً ، وأنه بعد حادث

عمى المزعج لم تعد نجراً خادمة من خادماننا الشابات

على المكث عندنا ؛ وكذلك نفت هذه الأصوات

المهمة التى تتصاعد كل ليلة من المر والمكتبه الرقاد

ولكن السماء حجبت فجأة بالغيوم حين وصلوا إلى مدخل النصر الذي غرست الأشجار على جانبيه، واستولت على الجرس كينته رهيبه، وطار فوق رؤوسهم سرب عظيم من النربان، ثم تدفقت أمطار غزيرة حين وقفت بهم العربية عند باب القصر؛ وكانت في انتظارهم على الدرج امرأة عجوز في ثياب من الحرير الأسود وقبعة بيضاء ومئزر هي السيدة (أمى) قهرمانة المنزل التي انحنت لهم حين أقبلوا انحناء الاحترام وقالت بلهجة قديمة أنيقة: (لقد حلتم أهلاً)؛ ثم سارت أمامهم وهم يتبعونها ثمروا باليهو الفخم ثم دخلوا المكتبة فإذا هي غرفة واطئة طويلة قد سودت جدرانها بأخشاب السنديان، وفي نهايتها نافذة كبيرة قد ثبتت ألواح الزجاج في ردتيتها؛ وفي هذه الغرفة وجدوا الشاي قد هيأ لهم فخلعوا مائدتروا به من ثياب وجلسوا يديرون أبصارهم في الغرفة والسيدة أمى قد وقفت رهن إشارتهم.

وفجأة لفت نظر السيدة أوتس بقعة على البلاط حمراء قاتمة قريبة من الموقد فقالت للسيدة أمى وهي غافلة تماماً عن الجواب: ما أحسب إلا أن شيئاً أريق هنا.

أجابت القهرمانة العجوز هامسة: نعم ياسيدتى لقد أريق دم في هذه البقعة.

صاحت السيدة أوتس — باللفظاعة: أنا لا أطيق أبداً أن أرى بقع دم في غرفة الجلوس. يجب أن تزال حالاً.

ابتسمت العجوز وأجابت في نغمة هادئة مبهمة: إنه دم الميدي ألينورا كانترفيل التي قتلها زوجها السير سيمون كانترفيل في نفس هذه الغرفة وعند هذه البقعة سنة ١٥٧٥ وقد عاش زوجها بعد

وبعد هذا الحديث بعدة أسابيع تمت صفقة البيع؛ وفي مطلع فصل الصيف قصد الوزير وعائلته قصر كانترفيل، وكانت العائلة مؤلفة من السيدة أوتس وهي التي اشتهرت بجملتها الساحر في شبابها، ولا تزال وقد بلغت منتصف عمرها جميلة العينين جذابة الملامح، ومن ولدها البكر وشنجلتون وهو شاب جميل الوجه حقاً، جميل القدر، جميل الشعر، دقيق الحس رقيق العاطفة، ومن الآنسة فرجينيا وهي فتاة صغيرة في سن الخامسة عشرة لطيفة في عينها الزرقاوين الواسعتين حرة مستحبة، وكانت إلى جانب ذلك مسترجلة ساقية في أحد الأيام وهي راكبة على مهرها لورد بيلتون العجوز فسبقته وكانت حلبة السباق تمتد من تنثال (اشيل) إلى حيث وقف دوق شيشر الشاب الذي أعاده رواده إلى (ابتون) في الليلة ذاتها باكياً على فراق فرجينيا؛ ثم التوأمان البهيجان وكانا أشهر أفراد العائلة إذا استثنينا الوزير الخطير.

ولما كان قصر كانترفيل يبعد عن محطة (اسكوت) سبعة أميال فقد خاطب السيد أوتس هذه المحطة ليهيئوا لهم عربية؛ حتى إذا وقف القطار في (اسكوت) كانت العربية في انتظارهم فركبوها مقتبطين.

لقد كان مساء جميلاً من امساء تموز وقد لطف الجو غير غيات الصنوبر، وكانوا يسمعون من وقت لآخر قمرى الغاب يرجع أغانيه العذبة، ويلمحن السناجيب الصغيرة ترمقهم من أشجار الزان حين يبرون بها، والأرانب تندفع مسرعات في الأجمة وأذنانها البيضاء في الهواء ثم سرعان ما تختفي عن الأبصار.

قالت : لقد شاهدت بعيني رأسي أشياء ، يقف لها شعر كل مسيحي . وما أكثر الليالي التي لم يغمض لي فيها جفن هلماً من حوادث مريعة كانت تقع هنا وعلى كل حال فقد اطمأن السيد أوتس وزوجه هذه السيدة الطيبة القلب وأكّدا لها أنهما لا يخافان الشبح ؛ وهي بعد أن توصلت إلى الله أن يحفظ سيدها الجديد وسيدتها وبعد أن بحثت معهما في زيادة مراتبها سارت وهي ترتجف إلى غرفةها .

لم تبدأ ثورة العاصفة طوال الليل ولكن لم يقع من الحوادث ما يستحق الذكر .

وفي الصباح نزلت الأسرة لتناول الفطور فوجدوا بقعة الدم المزعجة على البلاط للمرة الثانية . فقال وشنجطون : لا أظن أن الخطأ خطأ (دهان بنكرتون) لأنني جربته في كل شيء ، بل إنه الشبح . وعاد يمسح البقعة مرة ثانية ولكنها ظهرت في الصباح الثاني ، وكانت في مكانها في صباح اليوم الثالث على الرغم من أن السيد أوتس قد أقفل بنفسه في المساء باب المكتبة وحمل معه المفتاح .

والآن تجلس الأسرة بأجمعها تتفكك بالأحاديث ، فالسيد أوتس يعترف أنه غلى في إنكار وجود الشبح ، والسيدة أوتس أعلنت عزمها على الانضمام إلى (الجمعية الطبيعية) ، وأعد وشنجطون رسالة مطولة في موضوع (ثبات البقع الدموية حين تتصل أسبابها بجريمة) وهكذا زال من بال الجميع في تلك الليلة كل شك يتعلق بوجود الشبح .

كان النهار مشرقاً دافئاً وقد ركبت العائلة للترهة في نفحة المساء البارد ولم يعودوا إلى المنزل إلا في

ذلك تسع سنين ثم اختفى فجأة على أثر حوادث غامضة ، ولم تكتشف جثته ، ولكن روحه الشريرة لا تزال تسكن القصر ؛ وكثيراً ما أثارت بقعة الدم هذه استغراب السائحين واستغراب سواهم خصوصاً وهي باقية لا تزول أبداً

صاح وشنجطون أوتس : هذا كله هراء . إن قليلاً من هذا الدهان سيزيلها في الحال . وقبل أن تعترض القهرمان المروعة ركع على ركبته وأخذ يفرك بسرعة أرض البلاط بعود صغير وفي لحظات قليلة لم يبق أثر لبقعة الدم

فأعلن وشنجطون وقد غلبته نشوة الظفر : لقد كنت موقناً أن (دهان بنكرتون) سيجعلها أثراً بعد عين . قال ذلك وهو يجيل بصره في أهله الذين تملكهم الدهشة ، ولكنه ما كاد يفوه بكلماته هذه حتى أضاء الغرفة وميض خطف الأبصار ، وقصفت الرعود قصفاً خفيفاً هزهم هزاً عنيفاً وأوقع السيدة امنى مغشياً عليها

قال الوزير الأمريكي وهو يشعل سيجاره الطويل بكل هدوء : ياله من جو مرعج ! لقد كنت أحسب أن انكلترة هي خير بلد للسياحة فإذا بها مكتظة بالسكان وإذا بالمرء لا يجد فيها جواً معتدلاً

ساحت السيدة أوتس — يا عزيزي هيرام ما الذي نستطيع أن نفعله لامرأة أغشى عليها ؟ أجاب الوزير — فتش عن الذي سبب لها الاغماء ثم داوها به فلا يغمى عليها بعد ذلك . وفي الواقع فقد استيقظت السيدة امنى بعد لحظات ولكنها كانت ترتعش رعباً ، وقد أخطرت السيدة أوتس بحمارة انفجوع أن يحذر أموراً مروعة لا بد أن تقع في المنزل .

اللفافة عدة شهادات على حسن تأثيرها. وها أنا أضع لك القارورة إلى جانب شمعات غرفة النوم، ويسرني أن أقدم إليك ما تحتاجه من مقادير أخرى. قال الوزير هذه الكلمات وهو يضع القارورة على المنضدة الرخامية ثم أغلق باب غرفته وعاد إلى فراشه.

وقف الشيخ لحظة جامداً في غيظ طبيعي، ثم رمى القارورة على البلاط اللامع فحطمها وأندفع في الممر يصعد أنفاساً ثقيلة وينشر ضوءاً أخضر شاحباً، ولكنه لم يكد يصل إلى أعلى السلم الكبير حتى فتح باب وظهر فيه وجهان صغيران أبيضان وأصاب وسادتان رأسه، ولكنه كان مستعجلاً لا يقدر على التأخر لحظة فغاب في باطن الجدار وعمت السكينة القصر.

ولما وصل الشيخ إلى غرفة سرية صغيرة في الجناح الأيسر وقف متكئاً على الحائط أمام أشعة القمر ليسترجع أنفاسه، وأخذ يفكر ويتأمل في حاله. إنه لم يهن مثل هذه الاهانة قط خلال ثلاثئة عام مرت متلائئة هادئة. لقد فكر في الدوقة (داوجر) التي أعشى عليها من الخوف بينما كانت واقفة أمام المرأة في أشرطتها وجواهرها، وفي الخادومات الأربع اللاتي أصبن بالصرع لجرد أن حرق أسنانه لهن من خلال ستائر إحدى غرف النوم، وفي أسقف الأبرشية الذي أطفأ له شمعته في إحدى الليالي التي عاد فيها متأخراً من المكتبة فقضى عمره تحت عناية السير وليام شهيد اضطراب عصبي، وفي سيدة (تريمولاك) العجوز التي استيقظت مبكرة في صباح أحد الأيام فساهدت هيكلًا عظيمًا يجلس في كرسي كبير إلى جانب النار يقرأ في مذكراتها اليومية فظلت طريحة الفراش على أثر هذا المشهد ستة أسابيع تحرقها

الساعة التاسعة، فتناولوا طعاماً خفيفاً ثم دار الحديث فلم يصل إلى الأستباح من أى طريق. تحدثوا عن ساره برنار كفتانة بلغت قمة الشهرة، وعن صعوبة الحصول على دقيق وكعك وعسل حتى في أحسن البيوت الانكليزية، وعن أهمية بلدة (بوسطن) في حركة النشاط العالمي، وعن فوائد نظام (الأمته في سكة الحديد)، وعن حلاوة اللهجة النيويوركية إذا قيس بتشدق لندن، ولم يرد في أحاديثهم ذكر لخوارق الطبيعة ولا للسير سيمون دي كانترفيل أصلاً. وعندما دقت الساعة الحادية عشرة قمت الأسرة، لتنام وبعد نصف ساعة أطفئت الأنوار؛ وبعد قليل استيقظ السيد أوتس على صوت مزرعج في الممر خارج غرفته أشبه بمقعدة الحديد. وكان الصوت يدنو شيئاً فشيئاً فنهض في الحال وأشعل عود ثقاب ونظر في ساعته فإذا هي واحدة بعد منتصف الليل. لقد كان في كامل هدوئه فجلس نبضه فلم يجد أثراً للحى. ولكن لم ينقطع الصوت البهم وها هو يسمع معه بوضوح وقع أقدام، فتدثر بثيابه وتناول من صندوق في الغرفة قارورة مستطيلة صغيرة وفتح الباب فإذا به يشاهد أمامه على ضوء القمر الباهت رجلاً عجوزاً في مظهر خفيف يقدح الشرر من عينية الجراوين وقد انسدل على كتفيه شعر طويل أشيب أشعث، عليه عباءة من طراز قديم قدرة كالحلة يتدلى من رصفيه وكاحليه أغلال ثقيلة وسلاسل صدئة.

فبادره السيد أوتس قائلاً: ياسيدي العزيز: أراي مضطرباً أن ألع عليك أن ترتيت هذه الأغلال وقد أحضرت لك لهذه الغاية قارورة صغيرة من زيت (تامني) المعروف بفائدته العاجلة؛ وإنك لتجد في

من الرقاد ومثل هذه الأصوات لا تنقطع خارج
غرف النوم .

وعلى كل فقد قضوا بقية أيام الأسبوع دون
أن يرعجهم أحد ، ولكن الشيء الوحيد الذي كان
يشير انتباه الجميع هو ظهور بقعة الدم على بلاط
المكتبة ظهوراً متوالياً ؛ وهذا الأمر الحق مستغرب
لأن السيد أوتس كان يقفل الباب كل ليلة ويحكم
إغلاق النوافذ ، وكذلك كان تغير لون بقعة الدم
كتغير الحبراء محل ملاحظة وانتقاد ، ففي صباح
يكون ممعاً ، وفي آخر أحمر فاتحاً ، ثم أحمر فاقعاً ، ثم
بنفسجياً ؛ وكان إلى ذلك موضوع تسلية للعائلة
ومراهقات حرة كل مساء ، ولكن الصغيرة فرجينيا
كانت الوحيدة التي لم تشترك في هذا المزاج ، وكانت
تظهر عليها علائم الامتعاض لسبب مجهول كلما
شاهدت بقعة الدم حتى أنها كادت تبكي في صباح
أحد الأيام الذي ظهرت فيه البقعة خضراء لامعة .
وفي مساء يوم الأحد ظهر الشبح للمرة الثانية ،

وذلك أن الأسرة بعد أن ذهبت إلى الفراش بقليل
إذا بها تنتفض فجأة على صوت سقوط جسم ثقيل في
القاعة فاندفعوا جميعاً إلى الطابق السفلي فإذا بدرع
قديم قد حل من موضعه في الحائط وسقط على
البلاط ، وإذا بشبح كاتريفيل قد جلس في مقعد كبير
يفرّك ركبته وقد ارتسمت على وجهه صورة النزغ
الأخير ، فسدد التوأمان في الحال سهام اللعب التي
أحضراها معهما ورمياه بسهمين بمهارة من أمضى
وقتاً كبيراً يتمرن على ظهر الأستاذ وهو على
اللوح ، بينما رفع وزير الولايات المتحدة مسدسه
في وجهه وطلب إليه على الطريقة الكاليفورنية
أن يرفع يديه ، فنهض الشبح يصيح من الغضب صياحاً

حمي دماغية ، ولما شفيت لزمت الكنيسة وانقطعت
عن (فولتير) الدهرى ذي السمعة السيئة .
لقد استعرض في مخيلته كل أعماله العظيمة
فذكر أيضاً هذا الخادم الذي أطلق على نفسه النار
في بيت المؤونة لأنه أبصر يداً خضراء تنقر على
زجاج النافذة ؛ وليدي (استوفيلد) الجميلة التي
اضطرها إلى أن تلف عنقها دائماً بمصاية من مخمل أسود
لتخفي أثر خمس أصابع طبعت بالنار فوق بشرتها
البيضاء والتي انتحرت آخر الأمر بأن أغرقت نفسها
في بحيرة للسماك .

ثم بعد هذا كله يأتيه أمريكي متجدد حقير
فيقدم إليه بكل بزود (زيوت تامني) ثم يكون في
القصر من يقذف رأسه بوسائد . إن هذا لا يطاق
أصلاً ؛ وفوق ذلك فإن التاريخ لا يذكر أن شبحاً
عومل مثل هذه المعاملة ، ولهذا قد صمم على
الانتقام وظل حتى الفجر يقلقه التفكير العميق

حينما جلست عائلة أوتس لطعام الفطور في صباح
اليوم التالي تناولت حديث الشبح من بعض الوجوه ،
فوزير الولايات المتحدة قد أغضبه قليلاً رفض هديته
وقد قال : إنني لا أضمر للشبح إلا كل خير ، ولا
أريد أن يرعج أحد ، وأراني مضطراً إلى أن أقول إن
دمي الشبح بالوسائد وهو الذي أمضى كل هذا الزمن
الطويل في القصر ليس من الذوق في شيء . إنها
ملاحظة دقيقة يؤسفني أن أصرح بها . وهنا
انفجر التوأمان عن هدير من الضحك واستمر
الوزير يقول : ومن جهة أخرى فإنه إذا كان يرفض
حقيقة استعمال زيوت تامني فسنضطر إلى نزع
السلامل عنه إنه لمن المستحيل أن يتمكن أحداً

وقد ظل بعد ذلك عدة أيام يشكو المرض الشديد ملازماً غرفته لم يخرج منها إلا ليطبع بقعة الدم في مكانها الخاص ، ولكنه شفى أخيراً بفضل عنايته الشديدة بنفسه وصمم على تجربة ناشئة بقرع بها وزير الولايات المتحدة وأسرته وقد اختار يوم الجمعة ١٧ أغسطس موعداً لظهوره منفقاً معظم هذا اليوم في النظر إلى خزائن ثيابه ؛ وأخيراً قرأه على قبعة مهذبة ذات ريشة حمراء ، وعلى كفن مكشكش عند الرسنين والرقبة ، وعلى مديّة ذات حدين . وفي المساء هطلت أمطار غزيرة وعصفت الرياح عصفاً شديداً اهتزت لها أبواب القصر القديم ولوافذه فكان الجو تلك الليلة هو الجو الذي يرغبه الشيخ ؛ وكانت خطة عمله : أن يجعل طريقه إلى غرفة وشنجطون أوتس رأساً فيرطن عند أقدامه وهو راقد في سريره . إنه يحمل لو شنجطون حقداً من نوع خاص لا اعتقاده أنه هو الذي اعتاد أن يزيل كل مرة بقعة الدم المشهورة بواسطة دهان (بنكروتون) ، وبعد أن يترك هذا الشاب فريسة للفزع الأكبر يتقدم إلى الغرفة التي يشغلها وزير الولايات المتحدة وزوجه فيضع يداً دبقة على جبين السيدة أوتس ، ثم يهمس في أذن زوجها المرتجفة أهول أسرار المقابر ؛ أما فرجينيا الصغيرة فأنه لم يقطع في شيء يتعلق بها لأنها لم تؤذ أصلاً وكانت جد مؤدبة ولطيفة ، وقد اعتقدت أن أنات قليلة يصعدنها من خزانة الثياب هي فوق الكفاية ، حتى إذا لم تستيقظ لاس لحافها بأصابع مشلولة . أما ما يختص بالتوأمين فقد صمم على أن يعطيهم أدرساً أي درس ؛ وأول ما سيفعله بهما هو أن يجلس على صدريهما يخفق أنفاسهما ، ومن ثم يقف بين فراشيهما المتقاربين في صورة جيفة خضراء مثالجة ، وأخيراً يخلع كفته ويحبو حول الغرفة

وحشياً ونشر حولهم ما يشبه الضباب ، وحينما مر يوشنجطون أطفالاً له شمعتة فتركهم جميعاً في ظلام حالك ؛ ولما وصل إلى أعلى الدرج وكان قد ملك وعيه واسترجع قواه صمم أن يضحك ضحكته الجنونية التي أتت له في مناسبات عدة بأحسن الثمرات ، هذه الضحكة التي أبيض لها شعر (لورد ديكر) المستعار ، وأكرهت القمر مانات الفرنسيات الثلاث على ترك الخدمة قبل انقضاء الشهر . ضحك ضحكته التقليدية المرعبة فاهتز لها السقف المعقود القديم . ولكن الصدى الخفيف تلاشى حين فتح باب وخرجت منه السيدة أوتس في جلباب أبيض أزرق وقالت تخاطب الشيخ : أخشى أن تكون مريضاً ؛ لهذا أحضرت لك قارورة من (اكسير الدكتور روبيلي) فإذا كنت تشكو سوء الهضم فأنك ستجد فيها الدواء الشافي . فخلق فيها الشيخ مغیظاً ، وما كاد يهيم بتحويل نفسه إلى كلب أسود كبير حتى سمع وقع أقدام تقترب منه ، فعدل عن تنفيذ ما صمم عليه واكتفى بأن حول نفسه إلى ضباب بهت ، ثم تلاشى خلال أنين عميق وكان ذلك في الوقت الذي وصل فيه التوأمان . وحين دخل غرفته ارتدى خاثر القوى فريسة لأشد أنواع القلق . أما فظاظلة التوأمين وبلادة السيد أوتس وماديته فما يتعب حقاً ، ولكن الذي زاد في سخطه أنه لم يستطع أن يرتدى الدرع وكان يعلق على ارتدائه آملاً كبيراً لأنه يحسب أن منظر الشيخ في الدرع يرعب حتى الأميركي المتجدد ؛ وفوق ذلك فإن الدرع درعه قد ارتداه في مبارزة (كيت لورث) فكان فيه مثال البهاء والجلال فما باله الآن قد انهد تحت ثقل الصدرية النحاسية الضخمة والخوذة الفولاذية ؟

مرعبة، وينبعث من عينيه أشعة ضوء قرمزية، وكأن فيه بئر واسعة من نار قد وضع على صدره لوحة عليها كتابات غريبة ورفع في يده اليمنى حساماً قصيراً من فولاذ.

لقد كان خوفه شديداً لأنه لم يسبق له أن شاهد شبحاً من قبل فألقى نظرة ثانية خاطفة على الشبح المرعب ثم تراجع هارباً إلى غرفته يتعثر في أذيال كفته الطويل، وحين وصل إلى جناحه الخاص رمى نفسه على سرير صغير وخبأ وجهه باللحاف؛ وبعد زمن تمالك شبح كاتريفيل الشجاع نفسه فصمم أن يعود حين يطلع النهار ويكلم الشبح الآخر. وعلى ذلك ما كاد الفجر يلمس التلال بأصابه الفضية حتى عاد إلى المكان الذي وقع فيه نظره لأول مرة على الشبح الهائل تدفعه فكرة خطرت متأخرة على باله أن شبحين خير من شبح واحد وأنه سيتمكن بفضل صديقه الجديد من التغلب على التوأمين. وحين وصل إلى المكان وقع نظره على مشهد مرعج. لقد حدث للشبح حادث، فقد انطفأ النور الذي كان ينبعث من عينيه الجاحظتين وسقط من يده الحسام الفولاذي اللامع؛ ثم ما باله يتكئ على الجدار في وضع متخاذل؛ فاندفع إلى الأمام وقبض على ساعديه بيدين مضطربتين فسقط الرأس وتدحرج على البلاط، وإذا بشبح كاتريفيل يعانق سريراً مجللاً بلسيح أبيض قد ارتدى عند أسفله ساطور مطبخ ومكنسة ورأس لفت كبير، فلم يستطع أن يفهم شيئاً من هذا التغير العجيب؛ وبسرعة المحموم أنشأ مخاطبه في الملوحة فذا به يقرأ على ضوء الصباح الباهت هذه الكلمات المخيفة:

بعظامه الصفراء المبيضة وعينه الواحدة الكروية المائرة. وعند منتصف الساعة الحادية عشرة ونصف سمع حركة الأسرة ذاهبة إلى الفراش وظل بعد ذلك برهة ترعجه قبهات التوأمين الرنانة، ولكنهم أخلدوا إلى السكينة جميعاً عند حوالى الساعة الحادية عشرة وعند منتصف الليل انبرى لهم. وكان اليوم ينقر على زجاج النافذة والغربان تنوح من شجرة السندبان العتيقة، والرياح تئن حول المنزل كالروح التائه، ولكن أسرة أوتس كانت تمام ملء أجفانها غافلة عما يجري لها القدر؛ وكان بإمكان الشبح أن يسمع غطيط وزير الولايات المتحدة يرتفع خلال المطر النهمر والصواعق القاصفة.

انسل الشبح من الخزانة وعلى فمه الصلب المتفطن ابتسامة شيطانية، وحينما مر بشرفة النافذة خبأ القمر وجهه في الضباب وأظهر الليل البهيم اشتمأزه؛ ولفأة خيل إليه أنه يسمع شخصاً يصيح فوقف ولكن لم يكن هذا الصياح إلا نباح كلب آت من مزرعة قريبة فاستمر في سيره يقذف شتائم القرن السادس عشر الغريبة ويلوح بمخنجره في الهواء دائماً أبداً؛ وأخيراً بلغ زاوية الممر المؤدى إلى غرفة وشنجتون السني الحظ فوقف هناك لحظة والرياح تعبت بغدائره. عندئذ دقت الساعة رباعاً بعد منتصف الليل فأحس أن قد آن الأوان فضحك في سره وتحول إلى الرواية. ولكنه ما كاد يتقدم خطوة حتى تراجع إلى وراء يولول من الخوف وخبأ وجهه الأبيض بين يديه الطويلتين العظيمتين فقد وقف أمامه شبح جامد كالتمثال المنحوت مخيف كأحلام مجنون، وكان أصابع الرأس مصقولة، مستدير الوجه ضخمة، قلب سحنته إلى كشرة دائمة ابتسامة

شبح ب . أوتس

هو وحده الشبح الحقيقي الطبيعي

احذروا من التقليد

لقد انكشف له كل شيء . إنه خدع وهزم وغلب على أمره فشد على لثتيه ، وعادت نظرة كاثرفيل القديمة إلى عينيهِ ، وأقسم رافعاً فوق رأسه يديه المتفضلتين على أسلوب المدرسة القديمة الغريب أنه عند ما يصبح الديك صيحته الثانية لتكتبن وتأتق الدم ويخطر نَّ القتل في القصر بخطى موزونة . وما كاد ينتهي من هذا القسم العظيم حتى صاح الديك فضحك ضحكة طويلة خرساء مرة وانتظر الصيحة الثانية . لقد انتظر ساعة أثر ساعة ، ولكن الديك لسبب ما لم يعد للصياح . وأخيراً بلغت الساعة السابعة ونصفاً وحضرت القهوة فاضطره حضورها إلى أن يضع حداً ليقظته ، فعاد يسير على حذر إلى غرفته يفكر في أمه الضائع ورجائه الخائب . ولما دخل غرفته استشار عدة كتب تبحث في الفروسية القديمة وكان بها مغماً فإذا به يجد الديك يصيح صيحته الثانية عند كل قسم من نوع قسمه . فتمتم قائلاً : الويل لهذا الخبيث الغبي : سيأتي اليوم الذي أمزق فيه حلقه بسهمي . ثم استراح إلى تابوت رصاحي وحب فمكث فيه إلى مساء .

أصبح الشبح في اليوم الثاني مريضاً تعباً ، فقد أخذ يظهر عليه أثر الاضطراب المزعج الذي لم يفارقه خلال الأسابيع الأربعة الأخيرة . فقد توترت أعصابه فإذا به يجفل من أطفال الأصوات ، ولزم غرفته لم يغادرها طيلة خمسة أيام . وأخيراً قرر رأيهِ على التخلي عن بقعة الدم التي اعتاد أن يطبعها على بلاط المكتبة ،

فإذا كانت أسرة أوتس لا ترغبها فمن الواضح أنها لا تستأهلها . إنهم في هذا الوجود في مستوى وضيع لا يستطيعون معه تقدير قيم الأشياء الرمزية ولا فهمها .

لقد كان من واجبه المقدس أن يظهر في المر مرة في الأسبوع وأن يعطل من النافذة الكبيرة ذات الشرفة يوم الأربعاء الأول والثالث من كل شهر ، فلم يجد طريقة شريفة تخلصه من تعهده هذه . حقيقة أن حياته شر في شر ، ولكنه كان من ناحية أخرى أميناً على كل ما يتصل بخوارق الطبيعة ، وعلى هذا فقد ظل أسابيع ثلاثة يجتاز المر كمعادته يوم السبت من كل أسبوع ما بين منتصف الليل والساعة الثالثة محاذراً كل الحذر أن يسمعه أو يراه أحد ؛ وفي كل مرة كان يخلع نعليه ويسير على رؤوس أصابعه مرتدياً عباءة فضفاضة من الخمل الأسود ، وكان يكثر العناية بتزييت سلسله بربوت (تامني) . وهنا أراي مضطراً أن أصرح أن الشبح لم يوافق على قبول هذا النوع الأخير من التحفظ إلا بعد مشقة عظيمة . فقد تسال في إحدى الليالي والأسرة تتناول طعام المساء إلى غرفة نوم السيد أوتس وحمل معه القارورة . لقد شعر أول الأمر بشيء من المذلة ولكن سرعان ما طوى هذا الاختراع وأدرك أنه أفاده إلى حد ما .

وعلى الرغم من كل شيء ، فإنه لم يترك وشأنه وهم لا يزالون يزججونه ويقلقونه فقد نصبوا حبلاً على طول المر وعرضه كان يتعثر بها في الظلام وقد سقط مرة سقطة مؤلمة وهو في زي (اسحق الأسود) مترحلقاً بالسمن الذي فرش له التوأمان من مدخل غرفة الصور إلى أعلى الدرج ، فأغضبه كثيراً هذا

جعلته يفر راكضاً إلى غرفته بكل ما أوتي من قوة ،
وإذا به في صباح اليوم الثاني طريق القراش يشكو
الزكام القوي ويتسلى عن همه أن رأسه لم يكن معه
في هذا الحادث وإلا كانت العاقبة وخيمة جداً
لقد قطع الآن كل أمل من تخويف هذه الأسرة
الأميركية الفظة الغليظة القلب وأقع نفسه بالزحف
حول الغرف وفي الممرات بخف خفيف وبملحفة
حمراء خشنة يلفها حول عنقه تقيه البرد ، وبغدارة
صغيرة يصد بها هجوم التوأمين .

وفي اليوم التاسع عشر من سبتمبر جاءت آخر
صدمة ، فقد هبط الطابق السفلي إلى البهو العظيم
موقناً أنه سوف لا يجد هنالك ما يعجبه معلاً نفسه
بتسجيل ملاحظات هجوية على صورتي الوزير الأميركي
وزوجه اللتين حلتا محل صور عائلة كاترفيل . وكان
يرتدي كفتاً بسيطاً طويلاً قد طرز بطين النقبة
ويربط شذقه بقطعة مستطيلة من الكتان الأصفر .
ويحمل قنديلاً صغيراً في يده وفأس سادن الكنيسة
في يده ، وكانت الساعة تبلغ الثانية والنصف صباحاً
والكل كما كان يتصور نيام ؛ فبينما هو متجه نحو
المكتبة ليرى هل بقي أثر لبقعة ادم وإذا شخصان
يقفزان عليه فجأة من زاوية مظلمة ويلوحان ساعديهما
حول رأسيهما وينفخان في أذنه (بو) ، فاحتاطه
الفرع واندفع نحو السلم ولكنه وجد وشنجطون
ينتظره هنالك ومعه مخقن الحديقة . ولما رأى نفسه
محاصراً بأعدائه من كل جانب ومكرهاً على التسليم
غاب في الموقد الحديدي الكبير الذي كان لحسن
حظه غير موقد ، وكان عليه أن يجعل طريقه إلى
غرفته خلال معاهد الدخان فوصل إلى غرفته في حالة
يرثي لها من الوسخ والاضطراب واليأس

التي حشر الأخير فصم ليقيم بعمل جديد يسترجع
به اعتباره ومركزه الاجتماعي فيزور الصغيرين
السفيين في الليلة الآتية في زيه المشهور (روبرت
الطائش) . إنه لم يظهر في هذا الزى منذ سبعين عاماً
أي منذ أن أخاف به الليدي (برباره مودش) الجميلة
فاضطرت أن تفسخ خطبتها من جد لورد كاترفيل
الحالي وتفر مع (جاك كاتيلون) الظريف معلنة أنه
لا يوجد في العالم من يكرهها على الاقتران من أسرة
تسمح لمثل هذا الشبح الخفيف أن يخطر في القصر
عند الفسق . مسكين جاك ! لقد قتل على أثر ذلك في
مبارزة نشبت بينه وبين لورد كاترفيل ثم ماتت
برباره محطمة القلب في بلدة « تنبردج » قبل نهاية
العام وكان ذلك من توفيق الشبح .

كانت عملية التنكر جد متعبة إذا جاز لنا أن
نستعير هذا التعبير المسرحي نندل به على ما يتصل
بأحد المظاهر الغامضة الخارقة للطبيعة ، فقد قضى
ثلاث ساعات وهو يستعد ؛ وأخيراً كان كل شيء
على أحسن حال فارتاح كثيراً لمظهره ؛ غير أن (حذاء)
الركوب كان واسماً قليلاً ولم يجد إلا مهمزاً
واحداً ، ولكنه كان على العموم راضياً كل الرضا .
وعند الساعة الواحدة وربع انسل من خزانة الثياب
وزحف إلى الممر ، وحين بلغ الغرفة التي يشغلها
التوأمين وكانت تسمى غرفة النوم الزرقاء لكثرة
ما فيها من الأشرطة والصور الملونة بهذا اللون ،
وجد الباب منفرجاً قليلاً ولكي يجعل دخوله مؤثراً
انقض على الباب وفتحه على مصراعيه ، ولكنه
لم يشعر إلا بحجرة ماء ثقيلة قد صبت عليه فغسلت
كل جسمه ، ثم سمع رنين نغمات عالية آتية من
القراش . لقد هزت الصدمة كيانه التوترة

والصغير في دوره المشهور (الراهب مصاص الدماء) هذا الدور الذي بلغ من فظاعته ان ليدى (استارتاب) حينما شاهدته فيه في مساء عام ١٧٦٤ الجديد المشؤوم أخذت تصرخ صراخاً حاداً مرعجاً انتهى بها إلى داء السكتة ثم ماتت في ثلاثة أيام بعد أن حرمت كاتريفيل من إرثها وكان أقرب أقربائها، وأوصت بكامل ثروتها إلى صاحب (صيدنية لندن) . ولكن خوفه من التوأمين منعه في آخر لحظة من الخروج من غرفته فنام اللدوق الصغير بسلام في غرفة النوم الملكية تحت المظلة المزخرفة يحلم بفرجينيا

وبعد ذلك بعدة أيام ركبت فرجينيا وفارسها إلى روضة (زوكلي) فإذا بها تدخل في السياج فتعزق ثيابها؛ وفي عودتها قررت أن تدخل القصر من الباب الخفي حتى لا يراها أحد، وبينما هي مسرعة إلى غرفتها صرت بغرفة الثياب فتفق أن كان بابها مفتوحاً فلمحت في داخلها شخصاً ظننته خادمة والديها فدخات عليها لتأسرها أن تخيط لها ثوبها فإذا بها تفاجئ شبح كاتريفيل نفسه، وكان يجلس إلى جانب النافذة يراقب الأشجار الصفراء الباهتة ماعدة في الهواء والأوراق الحمراء ترقص بحنونة عند مدخل القصر، ويسند رأسه بيده في وضع متخاذل كثيب لقد ملأ منظر الشبح البائس المخزول قلب فرجينيا الصغيرة شفقة فإذا بها لا تفر إلى غرفتها وتغلق خلفها الباب بل تصمم أن تدخل عليه لتؤنسه وتعزيه وقد بلغ من خفة خطواتها وثقل آلامه أنه لم يشعر بوجودها إلا حين كلمته

قالت : إني لأتألم لك ، ولكن إخواني ذاهبون إلى إيتون غداً وحينئذ لا يكر أحد عليك صفوك

وبعد ذلك لم يشاهد الشبح ثانية في حملة ليلية وقد ترقبه التوأمين في مناسبات عدة ولكن بلا جدوى . ومن الواضح أن شعوره المجروح هو الذي منعه من الظهور ؛ وعندئذ عاد السيد أوتس إلى تحرير كتابه العظيم (تاريخ الجماعات الديمقراطية) وهيأت السيدة أوتس سمكة مجففة عجيبه أدهشت أهل المقاطعة، وأخذ الأولاد يلعبون ألعابهم الأميركية الوطنية . وكانت فرجينيا تركب مبرها وتسير في أزقة المدينة برفقة دوق شيشر الشاب الذي عاد من مدرسته ليقتضى أيام العطلة في قصر كاتريفيل

لقد ظن الجميع أن الشبح قد رحل عن القصر فكتب السيد أوتس إلى لورد كاتريفيل كتاباً بهذا المعنى ، فجاءه الجواب يعان فيه اللورد سروره العظيم بهذه الأخبار ويرسل أجمل تهانيه إلى زوج الوزير الصالحة . لقد خدعت عائلة أوتس ؛ فالشبح لا يزال في القصر ، وهو وإن كان مريضاً لا يستطيع أن يترك الأمور تسير سيرها الهادي الطبيعى خصوصاً بعد أن سمع أن بين الضيوف دوق شيشر الشاب الذي سبق أن تراهن عمه العجوز لورد (فرنسيس استيلتون) مع الكولونيل (كابودي) بمائة جنيه على أنه يستطيع أن يلاعب شبح كاتريفيل الرد ؛ وقد وجدوه في صباح اليوم الثاني طريق أرض الغرفة مشلولاً شتلاً لا أمل في شفائه منه ؛ وهو وإن عاش بعد ذلك إلى أن بلغ أرذل العمر فقد ظل لا يستطيع أن يتكلم سوى كلمة واحدة (دوشيش) ولهذا فقد كان طبيعاً أن يهتم الشبح بالظهور بمظهر الذي لم يفقد نفوذه حتى أسرة (استيلتون) التي تربطه بها أواصر المصاهرة

وعلى ذلك فقد استعد أن يظهر لحبيب فرجينيا

بقية أسرتك الفظة الفليظة البربرية الفادرة

— صاحت فرجينيا واقفة على قدميها :

اسكت ! إنك أنت الفظ الفليظ البربرى الفادر، أنت أنت الذي سرقت مساحيق من صندوق لتطبع وترخف في المكتبة بقعة الدم ؟ لقد أخذت باديء ذي بدء اللون الأحمر بأجمعه وأخذت معه اللون القرمزى وبذلك لم يعد باستطاعتى أن أزين بألوان الغروب ؛ ثم أخذت اللون الأخضر الزمردي والأصفر وأخيراً لم تترك لى سوى اللون التلي والأبيض الصينى ؛ وهكذا لم يعد فى مقدورى أن أزين إلا بألوان ضوء القمر، هذه الألوان التى لا تسر الناظر والتى ليس من الهل اتقائها. إننى لم أشكك على الرغم من ألى الشديد . وقد أغضبني أكثر من كل شئ أن تجعل بقعة الدم خضراء قرمزية ؛ فهل سمع أحد أن دماً يمكن أن يكون أخضر قرمزيًا ؟

قال الشبح متلطفًا : فى الواقع أنك على حق ، ولكن ما الذى أصنعه ؟ إنه لمن الصعب جداً أن يحصل المرء على دم حقيقى فى هذه الأيام ؛ وما دام أخوك قد أخذ على عاتقه إزالة البقعة (بدهان بسكرتون) فاني لم أجد بداً من أخذ مساحيقك . لقد كان دم أسرة كاتريفيل أزرق وأشد زرقاً من كل دم فى انكلترة ، ولكنى أعلم أنكم معاشر الاميريكيين لا تكثرثون بالأشياء التى بهذا اللون .

— إنك لا تعرف شيئاً عن ذلك ؛ وأرى أن توسع مداركك وتثقف عقلك ؛ وأعتقد أن والدى لا يمانع فى سفرك إلى أميركا. إنك ستلقى نجاحاً عظيماً فى نيويورك ؛ وإنى لأعرف جماعة هناك يدفعون ألف دولار لو يكون لهم جد ، ويدفعون أكثر من هذا

أجاب الشبح وهو ينظر مشدوها إلى هذه الفتاة الجميلة الصغيرة التى جرؤت على مخاطبته : إن من المبعث أن تطلى إلى صفو العيش ، من المبعث حقاً ، فأنام مكتوب على أن أفرقع فى أصفادى ، وارطن من ثقب الفاتيج ، وأخطر فى السماء ، فكيف تطلين معنى أن أريخ نفسي من أمور لم أوجد إلا من أجلها ؟ — ليس من معنى لهذا الوجود . وفوق ذلك فأنت تذكر أنك اعترفت جريمة فظيمة . لقد أخبرتنا السيدة (إمنى) فى اليوم الأول من وصولنا أنك قتلت زوجتك

قال الشبح محتدًا : حسن ! إنى أعترف بذلك ولكن الحادث كان عائلياً بحثاً وليس له علاقة بأحد

أجابت فرجينيا : إنه لأجرام أن تقتل أى شخص

— إنى لأكره الشدة الرخيصة فى التأديب . لقد كانت زوجتى جد مهملة فهى لا تحسن يوماً تنشئة قبائى ولم تكن تعرف شيئاً عن الطبخ . لماذا ؟ أنا مخبرك ؛ لقد اصطدت يوماً غزالاً من أجمة (هوجلي) أندرين كيف وضعته على مائدة الطعام ؟ ولكن لا ليس من الضروري الآن . لقد انتهى كل شئ ، وإنى لأحسب أنه يحمل باخوانك أن يمتوتى جوعاً لأنى قتلتها

— يمتوتونك جوعاً ؛ آه ياسيدى الشبح : لا بل أريد أن أقول السير سيمون ؛ هل أنت جائع ؟ إن فى صندوقى (سندويتش) أحب السندويتش ؟

— لا، أشكرك . إنى لا آكل شيئاً الآن على كل حال . هذا لطف عظيم منك . وإنك لأفضل من

أظلمت عينا فرجيننا بالدموع وخبأت وجهها
في يديها ثم قالت متممة :

— إنك تعنى حديقة الموت

— نعم الموت ! يجب أن يكون الموت جميلاً كل
هذا الجمال . جميل أن يستريح الإنسان في الأرض
الناعمة السمراء والعشب يتموج فوق رأسه مصفياً
للهدوء الشامل . جميل ألا يكون لنا أمس ولا غد !
جميل أن ننسى الزمن ونعفو عن الحياة فنظل في سلام .
إنك تستطيعين مساعدتي لأن الحب معك دائماً والحب
أقوى من الموت .

ارتعشت فرجيننا وسرت في جسمها قشعريرة
باردة وسادت السكينة لحظات قليلة . لقد شعرت
كأنها في حلم مزعج .

عندئذ عاد الشبح إلى الكلام وكان صوته أشبه
بأنين الريح :

— هل قرأت مرة النبوءة القديمة المنقوشة على
نافذة المكتبة ؟

فصاحت الفتاة الصغيرة رافعة بصرها : أوه
كثيراً ما أقرأها ، وأني لأعرفها جيداً . إنها منقوشة
بأحرف سوداء غريبة ومن الصعب قراءتها وهي
سنة أسطر ونصها :

« حينما تستطيع فتاة كالمسجد أن تستخرج

صلاة من بين شفتي الخطيئة ؟

حينما تحمل شجرة اللوز اليابسة ،

وتسخر طفلة صغيرة بالدموع ؛

عندئذ يعم القصر الهدوء

ويعود السلام إلى كاتريفيل »

ولكني لا أعرف ماذا تعنى هذه الأبيات .

فأجاب باكتئاب — تعنى أنك يجب أن تبكي

المبلغ بكثير لو يحصل لهم شرف الانتساب إلى عائلة بين
أفرادها شبح .

— ما أظن أني أسرف في أمريكا .

قالت فرجيننا مفرعة : طبعاً لأنه لا يوجد
عندنا خرائب ولا تحف .

أجاب الشبح : لا يوجد عندنا خرائب ولا
تحف ؛ عندكم أسطونكم وعندكم بحارتكم .

— فلتصبح على خير ! أني ذاهبة لأرجو والذي
أن يحصل للتوأمين على إجازة أسبوع آخر .

فصاح الشبح : أرجو ألا تذهبي أيتها الأنسة
فرجيننا . إنني وحيد وجد تعيس ولا أدري ماذا
أصنع . إنني أحب أن أذهب لأنام فلا أستطيع .

— هذا غير معقول . يكفي أن تذهب إلى الفراش
وتطفى الشمعة . إنه لمن الصعب جداً أحياناً أن تظل
يقظاً وعلى الأخص في الكنيسة ولكن ليس في
النوم صعوبة .

قال الشبح متأثراً : إنني لم أنم منذ ثلاثمائة
عام ، فأنفتحت عينا فرجيننا الزرقاوان الجليتان
استغرباً ! لم أنم منذ ثلاثمائة عام وكم أنا في عذاب
إستولى الحزن على فرجيننا وارتعشت شفتاها

الصغيرتان ارتعاش أوراق الورد فدنّت نحوه وتفرست
في وجهه المتغضن وتمتمت : مسكين مسكين أيها

الشبح أليس لك من مكان تنام فيه ؟

فأجابها في صوت هاديء حالم : هنالك بعيداً
وراء غابات الصنوبر يوجد حديقة صغيرة ينمو فيها

العشب طويلاً عميقاً ويغنى العندليب طيلة الليل ، طيلة
الليل يغنى ، والقمر الرزين الفضي يتطلع من عليائه ،

وشجرة الصفصاف تبسط سواعدها الطويلة القوية
فوق الراقدن

ماحولها، وإذا بها تشعر كأن يداً تجذبها من ثيابها. فصاح الشبح: (اسرعى اسرعى وإلا وصلنا متأخرين) وفي لحظة أغلق الجدار ذو النقوش خلفهما وختل الغرفة.

وبعد عشر دقائق دق الجرس لتناول الشاي فلم تحضر فرجينيا، فأرسلت السيدة أوتس أحد الخدم في طلبها فعاد بعد قليل وقال إنه لم يجد الآنسة فرجينيا في أى مكان. ولما كان من عادتها أن تخرج إلى الحديقة كل مساء لتقطف ورداً لسائدة الطعام فإن السيدة أوتس لم تهتم بأدى ذي بدى، ولكنها أخذت تضطرب حين دقت الساعة السادسة ولم تظهر فرجينيا، فأرسلت الأولاد ليفتشوا عنها خارجاً بينما أخذت تفتش هي وزوجها في كل غرفة في القصر وقد عاد الأولاد عند الساعة السادسة والنصف يقولون إنهم لم يتركوا مكاناً لم يفتشوه ولكنهم لم يجدوا أى أثر لشقيقهم.

إنهم الآن جميعاً في أشد حالات الاضطراب لا يدرون ماذا يصنعون؛ وبخفة تذكر السيد أوتس إنه سمح لجماعة من النور منذ أيام قليلة أن تخيم في جهات القصر وإن هذه الجماعة قد رحلت إلى ضاحية (بلاك فيل)، فركب في الحال هو وولده البكر مع خادمين إلى تلك الضاحية ليتجروا بين النور عن الفتاة وقد طلب اندوق شيتسر وكان عقابم القلق على فرجينيا أن يسمح له بالذهاب أيضاً، ولكن السيد أوتس لم يأذن له بمراقبتهم لأنه كان يخشى وقوع اصطدام هنالك.

وحين وصلوا المكان وجدوا النور قد رحلوا، وكانت الآثار تدل على أنهم رحلوا بخفة ومنذ وقت

من أجلي ومن أجل ذنوبى لأنه ليس لدى دموع، وتصلى من أجل نفسى لأنه ليس عندي إيمان؛ وعندئذ يرحمنى ملك الموت من أجل جمالك وصلاحك وأدبك. إنك ستشاهدين فى الظلام أظلالاً خفيفة، وستهمس أرواح خبيثة فى أذنك، ولكنها سوف لا تؤذيك لأن قوى جهنم لن يمكنها أن تغلب على طهارة طفلة صغيرة

— لم تجب فرجينيا. ففرك الشبح يديه بيأس قتل وهو ينظر إلى رأسها المنحني الذهبى، ولكنها وقفت فجأة شاحبة اللون ينبعث من عينيها نور غريب وقالت فى حزم: إننى لا أخاف وسأطلب إلى الملك أن يرحمك.

فنهض من مقعده يصيح صيحة غبطة لطيفة وانحنى على يدها يقبلها بلهفة ورشاقة. كانت أصابعه باردة كالثلج، وشفتاه مشتعلتين كالنار، ولكن فرجينيا لم تتلصق حين أخذ يقودها وسط غرفة المظلمة

لقد أخذ الصيادون الذين رآهم طرزت صورهم على القماش المعلق الباهت. ينخون بأبواقهم ذات الديبول ويشيرون إليها بأيديهم الصغيرة لترجع: (ارجعى يا فرجينيا ارجعى) ولكن الشبح شد على يدها وأشاحت هى عنهم بوجهها ثم أطلت من مدخنة فى الجدار حيوانات هائلة بأذنان سحابة وعيون جاحظة تمقها وتمتم: (كونى على حذر يا فرجينيا الصغيرة: كونى على حذر! قد لا تراك مرة ثانية) ولكن الشبح انسل مسرعاً، ولم تصغ فرجينيا لأحد. وحين وصلا إلى نهاية الغرفة وقف يتمتم ببعض كلمات لم تفهمها ففتحت عينيها وأبصرت الجدار ينقش شيئاً فشيئاً كما ينقش الضباب فإذا أمامها كهف عظيم أسود، وإذا بريح شديدة باردة تكس

يعلم منه شيئاً ؛ غير أن المدير أبقى لجميع المخططات وطمان السيد أوتس أنهم سوف لا ينقطعون لحظة عن التحري عنها . وبعد أن ابتاع السيد أوتس قبعة للدوق الصغير من أحد المخازن وكان صاحبه على وشك إغلاقه أتجه إلى (ميكلي) وهي قرية تبعد أربعة أميال عن (اسكوت) ويقيم فيها النور عادة ؛ فلما وصلوا إليها قصدوا البوليس الريفي ليستعلموا منه عن فرجينيا ، ولكنه لم يقدم شيئاً . وهم بعد أن تنقلوا في كل الساحات العامة والخاصة حولوا أعنة خيولهم إلى القصر وقد أنهكهم التعب وحطم قلوبهم الفشل فوجدوا وشنجلتون والتوأمين في انتظارهم عند مدخل القصر يحملون المصابيح

لم يظهر أثر لفرجينيا . لقد قبض على العجرج في مرج (بروكلي) ولكنها لم تكن معهم وقد عللوا رحيلهم المفاجئ أنهم أخطأوا في تاريخ موسم (تشورتين) فاضطروا إلى الرحيل على عجل خوفاً من التأخر . وفي الحق لقد أظهروا غاية الأسف حينما سمعوا بضياغ فرجينيا لمسا يحفظون للسيد أوتس من جميل منذ أن سمح لهم بالإقامة في أراضيه . وقد تطوع أربعة منهم للمعاونة في التفتيش عنها وأخيراً وبعد أن ذهب كل مجهود عبثاً أصبح في حكم الثابت أن فرجينيا قد فقدت .

دخل السيد أوتس والأولاد القصر فالتقوا في القاعة بجماعة الخدم الغرعيين ، ثم دخلوا غرفة المكتبة فإذا بالسيدة أوتس قد ارتخت على المقعد الكبير بكاد الحزن يفقدها الوعي ، والقهر مائة تمر كجبينها بماء الورد ، فأتى عليها السيد أوتس أن تتناول قليلاً من الطعام وأمر بتهيئة العشاء للجميع . لقد جلسوا للطعام وهم في حزن لا يوصف ؛ حتى التوأمين كانا

قصير ، لأن نارهم كانت لا تزال في اشتعال وعدداً من أطباقيهم ماتي على الحشائش ، فأرسل الوزير ولده والرجلين ليطوفوا في المقاطعة منقبين ، وعاد هو إلى المنزل على عجل وكتب بركات إلى جميع مفتشي البوليس في المقاطعة يطلب إليهم أن يتجروا عن فتاة صغيرة خطفها المتشردون أو خطفها النور . ومن ثم طلب أن يهبط له جواده ؛ وبعد أن ألح على زوجته وأولاده أن ينزلوا ويتناولوا غداءهم ركب وسار في طريق (اسكوت) يرافقه السائس . وما كاد يسير ميلين حتى سمع شخصاً يعدو خلفه ، فنظر حوله فأبصر الدوق الصغير قائماً على مهره مغبر الوجه عاري الرأس .

لمث الولد قائلاً : إني لأأسف جداً ياسيد أوتس ولكني لا أقدر أن أتناول أي غداء وفرجينيا ضائعة . أوتس إليك ألا تغضب على . لو كنت وافقت في العام الماضي على عقد خطبتنا لما حدث شيء من هذا الأزعاج . سوف لا تأمرني بالرجوع . أتأمرني ؟ إني لا أستطيع أن أعود ولا أريد أن أعود .

لم يمالك الوزير نفسه من الابتسام لم رأى هذا السباب الطائش الضريف وقد أثر فيه حبه العظيم لفرجينيا فأنحنى عن جواده وربت بلطف على ظهره وقال : حسن ياسيسيل ؛ إذا كنت لا تريد أن تعود فمعنى ذلك أنك تحب أن ترافقني ولكن على أن أبتاع لك قبعة من (اسكوت) .

صاح الدوق الصغير مبتهما : أوه لا ترجع نفسك بقبعتي إني أريد فرجينيا .

وسارا يهبطان الأرض إلى محطة سكة الحديد ، وهناك سأل السيد أوتس مدير المحطة إذا كان أحد شاهد فتاة بأوصاف فرجينيا على الرصيف ، ولكنه لم

إلى فتحة الجدار تقودهم في ممر ضيق سرى وفي يد
وشنجلون قنديل تناوله عن المنعدة ، وأخيراً وصلوا
إلى باب كبير من سندان قد رصع بمسامير غليظة
فما لمسته فرجينا حتى فتح على مصراعيه ، فإذا بهم
يجدون أنفسهم في غرفة صغيرة واطئة معقودة
السقف قد تمدد على أرضها الحجرية هيكل عظمي
هزيل . فركعت فرجينا إلى جانبيه وأخذت تصلي
بهدهوء ضامة يديها الصغيرتين إلى بعضهما والأسرة
تنظر دهشة إلى هذه المأساة المزججة التي أخذ ينجلي
لها سرها .

ونجاة أعلن أحد التوأمن وهو يطل من النافذة
ليتحقق في أى جناح من القصر قامت الغرفة .
اسمعوا ! إن شجرة اللوز الكبيرة اليابسة قد نورت ؛
إني أرى الأزهار واضحة على ضوء القمر .

قالت فرجينا برزاة وهي تنهض على قدميها
ونور جميل يضيء وجهها : لقد غفر الله كل ذنوبه
صاح الدوق الصغير : يا لك من ملاك طاهر !
وطوق عنقها بذراعيه وقبلها .

بعد هذه الحوادث المفجعة بأربعة أيام خرجت
جنازة من قصر كانترفيل حوالى الساعة الحادية
عشرة مساءً وكان النعش محمولا على عربة يجرها
ثمانية حياد سود ومغطى ببساط أرجواني ثمين
قد طرز عليه بالذهب ثوب كانترفيل الحرنى . وسار
الخدم إلى جانب النعش والعربة يحملون المنصايح .
وفي الحق كان الموكب يبعث الرهبة والخشوع في
النفوس .

وكان اللورد كانترفيل الذى حضر من (ويلز)
ليشترك في الجنازة أول المؤمنين وقد جلس

واجمين ذاهلين . وحينما انتهوا أمرهم السيد أوتس أن
يذهبوا جميعاً إلى الفراش قائلين أنه لم يعد فى المكان
عمل شيء آخر الليلة . وأنه سيرق فى الصباح إلى
(اسكونلاند يارد) لتنشر العيون فى كل مكان .

وبينما هم خارجون من غرفة الطعام دقت ساعة البرج
مشعرة بالتصاف الليل . وحينما دقت البقرة الثانية عشرة
سمعوا صوت انكسار أعقبته صرخة رنانة ، ثم هز
القصر هزيم رعد مخيف . وطاف فى الهواء لحن علوى ،
وإذا بفتحة تظهر فى الجدار عند أعلى الدرج ، وإذا
بفرجينا تخرج منها شاحبة اللون جداً وفى يدها
قبة صغيرة فاندفعوا نحوها جميعاً وطوقها السيدة
أوتس بذراعيها فى حنان ، وكنتم الدوق أنفاسها بقبلة
متقدة ، وأخذ التوأمان يرقصان حولهم رقصة غريباً .
قال السيد أوتس مغضباً حاسباً أنها كانت
تمازحهم — يا إله السماء ! وأين كنت أيتها الطفلة ؟
تقدر كبت أنا وسيسيل نفتش عنك المقاطعة بأسرها ،
وكاد بقضى الأسى على والدتك . يجب ألا تعودى
إلى مثل هذه الهازل بعد الآن .

صاح التوأمان وهما يقفزان — إلا مع الشبح
إلا مع الشبح .

تمت السيدة أوتس وهى تقبل الطفلة المرتعشة
وتمسح على رأسها : أشكر الله يا عزيزتى أنا وجدناك .
يجب ألا تتركى جانبى بعد الآن .

قالت فرجينا مبينة : لقد كنت مع الشبح
يا بيا ! لقد مات ويجب أن تشاهده . لقد اقترف
ذنوباً كثيرة ولكنه تاب أخيراً توبة نصوحاً وقدم
لى هذا الصندوق الممتلئ بالجواهر قبل أن يموت
تفرست فيها الأسرة بدهشة خرساء ، ولكنها
كانت تتكلم برزاة وجد : ثم تحولت قليلاً وسارت

تأخذها معك إلى لندن على اعتبار أنها جزء من ثروتك
أعادت إليك في حالات خاصة غريبة . ان ابنتي لا تزال
طفلة ويسرني أن أقول أيضاً أنها قليلة الاهتمام بذيول
الرفاء الباطل ، وكذلك فقد علمت من السيدة أوتس
أن هذه الجواهر عظيمة القيمة جداً وأنها إذا عرضت
للبيع أنت بضمن كبير ، ولهذا ترى يا حضرة اللورد
كيف يستحيل على أن أسمح ببقائها في ملكية أي
فرد من اسرتي . وفي الحق أن كل هذه اللعب البراقة
سواء كانت لازمة أو ضرورية لشرف الارستقراطية
الانكليزية لا محل لها عندنا نحن الجمهوريين البسطاء
لقد أصنى لورد كانترفيل باتباعه شديد إلى خطاب
الوزير القيم وكان ينقش شاربه الأشيب من وقت
لآخر ليخفي ابتسامة اضطرابية . وحينما انتهى السيد
أوتس هنز يده بأخلاص وقال له : يا سيدي العزيز
إن ابنتك الفاتنة الصغيرة قد قدمت لحدي السي ،
الحظ السير سيمون أعظم خدمة . واني وأسرقي
لمدينون اشجاعتها العجيبة وإقدامها بالشئ ، الكثير .
إن الجواهر هي لها ولا شك ، وأنا أعتقد أني إذا
تغالطت وأخذتها فإن صاحبنا العجوز الشرير
سيخرج من قبره بين عسيرة ونحماها ويرج بي في داهية
أما إنها موقوفة فلا ، لأن الوقف لا يتم إلا بموجب
وصية أو صك قضائي ، وهذا لم يقع ، بل أكثر من
من ذلك أن هذه الجواهر مجبولة لا يعرف أحد منا
شيئاً عنها . واني لو اثبت أن فرجينيا سيسرها كثيراً
أن تجد في حيازتها عند ما تكبر حلية تلبسها ؛ وفوق
ذلك هل نسيت ياسيد أوتس أنك ابتعت الشبح كما
ابتعت ريش القصر ، وأن كل شيء يخص الشبح قد
دخل في ملكيتك ما دام التابع تابعاً . والتابع لا يفرد
في الحكم كما يقول رجال القانون ؟

في العربة الأولى مع الصغيرة فرجينيا ، ثم تأتي في
الترتيب عربة وزير الولايات المتحدة وزوجه ، فعربة
وشنجلتون والأولاد الثلاثة ؛ وأخيراً عربة السيدة
أمي التي كانت تحدث نفسها والعربة تسير بها
إلى الكنيسة أن من حقها أن تشاهد نهاية هذا
الشيخ الذي ظل يرعيا خمسين عاماً كاملة .

لقد حفروا له قبراً عميقاً في ساحة الكنيسة
تحت شجرة الصفصاف القديمة وأتى أغسطس
دامبير دعاء بلهجة جد مؤثرة . وما كاد ينتهي حتى
أطلقاً الخدم مصاييحهم عملاً بعادة متبعة عند عائلة
كانترفيل ، وحينما شرعوا ينزلون النافوس إلى القبر
خطت فرجينيا إلى الأمام ووضعت عليه صليباً كبيراً
صنعت من أزهار اللوز البيضاء والحمراء . وفي تلك
اللحظة برز القمر من وراء الغيوم وغمر ساحة
الكنيسة بضوئه الفضي ، وأخذ العنديل يغني من
الشجيرات البعيدة . ففكرت فرجينيا في وصف الشبح
لحديقة الموت فأظلمت عيناهما بالدموع ولم تنبس
بنت شفاه أثناء عودتهم إلى القصر .

في صباح اليوم الثاني وقبل أن ينزل لورد
كانترفيل إلى المدينة أخذ السيد أوتس يبحث معه
في موضوع الأحجار الكريمة التي قدمها الشبح إلى
ابنته فرجينيا فقد كانت هذه الجواهر ممتازة جداً
لا تقدر قيمتها بضمن ، لهذا احتار السيد أوتس كيف
يسمح لابنته أن تقبلها

قل - ياسيدي اللورد أنا أعلم ان الوقف في
هذه البلاد يجوز على المصوغات كما يجوز على الأرض ؛
وبأنه لظاهر لدى تماماً ان هذه الجواهر هي أو يجب
أن تكون إرثاً في اسرتكم ، ولهذا فاني أرجوكم أن

— أعلم ذلك ولكن أنا يجب أن تخبريني .
أرجو ألا تطلب مني ذلك . إنني لا أقدر أن
أخبرك بشئ . مسكين السير سيمون ! إنني لمدينة له
بكثير . نعم لا تضحك ياسيسيل . إنني لمدينة له حقاً .
لقد أطلعني على سر الحياة والموت وعلمني كيف يكون
الحب أقوى من الحياة والموت .
نهض الدوق وطبع على فم زوجته قبله حارة
وتتم :
— يمكنك أن تحتفظي بسرّك ما دمت أحتفظ
بقلبك .

إنك لتحتفظ به دائماً ياسيسيل .
— وإنك ستخبرين أطفالنا يوماً ما . أليس كذلك ؟
فاحمرت وجنتا فرجينيا حياء .
(شرق الأردن) (برمنز (برمنز))

تاريخ الأدب العربي

لأستاذ أحمد من الزيات

الطبعة السادسة

في حوالي ٥٠٠ صفحة من القطع المتوسط

يعرض تاريخ الأدب العربي منذ نشأته إلى اليوم

في صورة قوية تحليلية رائعة

ثمنه عشرون قرشاً ويطلب من إدارة الرسالة

ومن لجنة التأليف ومن سائر المكاتب

لقد ضاق السيد أوتس كثيراً برفض لورد
كانترفيل هذا ورجاه أن يراجع رأيّه ، ولكن اللورد
النبيل ظل مصراً على رأيّه ، فاضطر الوزير أخيراً
أن يسمح لابنته أن تحتفظ بهدية الشيخ
وفي ربيع عام ١٨٩٠ حينما مثلت دوقة شيشر الشابة
بمناسبة زواجها أمام الملكة كانت حليها موضوع
إعجاب العالم أجمع . لقد اقترنت فرجينيا بعشيقها
الشاب حين بلغت سن الرشد . وقد بلغ من فتنة
العروسين وجههما لبعضهما أن كل شخص اغتبط
لهذا القران اللهم إلا مركيزة (دويليون) العجوز
التي كانت تعمل لاقتناص الدوق زوجاً لإحدى
كرائمها السبع الأوانس وقد أقمت لهذه الغاية
ما لا يقل عن ثلاث دعوات .

وعند ختام شهر العسل عاد الدوق والدوقة إلى
قصر كانترفيل ؛ وبعد ظهر اليوم الثاني من وصولهما
زارا قبر السير سيمون وترا عليه وروداً جميلة نضرة
ويبحثا فيما يجب أن ينقش على شاهد القبر ؛ وأخيراً
قررا أيهما أن يكتبي بنقش اسم السيد القديم والأبيات
المنطوية على نافذة المكتبة ؛ وبعد أن طافا في محراب
الدير القديم الحرب جلست الدوقة على عمود متهدم
وتمدّد زوجها عند قدميها يدخن ؛ وفتاة ترى سيجارته
بعيداً وتناول يدها وقال لها :

— يافرجينيا ! إن الزوجة لا ينبغي أن تخفي شيئاً
عن زوجها .

— يا عزيزي سيسيل إنني ما أخفيت عنك شيئاً
أجاب مبتسماً — بل إنك لتخفين أنك لم تخبريني
ماذا كان بينك وبين الشيخ حين اختليت به .
أجابت فرجينيا جادة : إنني لم أخبر أحداً بذلك

ياسيسيل .

الفتاة التي سلبتني ولدي

مترجمة عن الانجليزية

بسلم اميل فرج

من العمر ستة أسابيع
حتى مات زوجي العزيز .
فقدت بموته كل أمل
لي في الحياة وانهارت
الأحلام الذهبية من
أساسها وخيل لي في ذلك
الوقت أن يبدأ خفية
جسارة تصرعني بقسوة

وعنف ، ولكن . . . وسط الدموع الغزيرة والأحزان
المستبدة تراءى لي وجه هاري الصغير وهو يتسم
ابتسامته الملائكية فاسترجعت صواي وغرمت على أن
أعيش . . . أجل أعيش من أجل ولدي العزيز لأنه
يحتاج إلى حناني .

ونشأ هاري الصغير دون أن يعرف شيئاً عن أبيه
الراحل ، ولذلك كنت له أباً وأماً ومنحته كل مجهودي
وحبوبي لأنني أيقنت أنه مفتقر إليهما . . . لقد كان
هاري الصغير حياي التي أحياها . . . كان روحي التي
تردد في جسدي . . . كان كل نصيبي في الحياة
وهكذا مرت الأسابيع مملّة ثقيلة ، ولكن تمكن
طفلي العزيز بعد مدة أن يملأ هذا الفراغ الموحش
الذي كان يضايقي ويبدد الظلام الدامس الذي كان
يسود حياتي . . . ومرت السنون وتتابعت الأيام
وأصبح هاري رجلي الحبيب الوحيد وكنت به
سعيدة قانعة . . .

واعتقدت في ذلك الوقت أنني مثال الأم الرحيمة
الحنون . ولكنني وجدت نفسي مخطئة فقد منحت
هاري حياتي ولذلك أردته أن يكون لي وحدي . .
أهي الأثرة وحب النفس الذي جعلني هكذا . . ؟
ربما ، ولكنني لم أكن لأدرك هذا في ذلك الوقت إذ
(٤)

« أهي غيرة امرأة أم حب أم الذي جعلها
تقت الفتاة التي أحبت ابنها الحبيب . . . ؟ »

كان هاري جرانت فقيراً معدماً عند ما تبادلنا
حباً جنونياً جارفاً ، وكنت أنا في العشرين من
عمرى فتزوجنا . . . فولد زواجنا في نفسه حلاًماً رائماً
جيداً ورغبة ملحة قاهرة في أن يفتني ، ولذلك عزم
على مبارحة إنجلترا إلى أمريكا ليحرب حظّه فيها .
إن صوته الآن ليبلغ أذني من بعيد فيردد قلبي
صداه في ثورة مكتومة حبسية ، وعيناه . . . إنني
لأراهما ترتفعان في الفضاء أمامي في تساؤل حبيب
وهو يقول :

— هل ترافقيني يا لوسي في رحلتى إلى
أمريكا . . . ؟

— سأكون معك في أى مكان يا حبيبي . . .
سأرافقك إلى أقصى العالم . . . سأتابع مبعودي
الفريد .

وهناك في أمريكا وبالرغم من كراهيتي للعظمى
والحياكة ، وبالرغم من مزاجي الحاد المتقلب فقد طابت
لنا الحياة ، واغتنينا لأن الحب والشباب كانا بولدان
فيينا قوة هائلة لا تقهر .

ولكن . . . لم يكد طفلنا هاري الصغير يبلغ

— ربما لم تظن أنك امرأة كبيرة السن يا أمه
لأن من يراك يحسد فيك شابة مريحة طروباً حتى
لأظنها بخالك أختي .

ولكن هذا القول لم يفرحني بل على النقيض
أغضبني أشد الغضب لأنني رأيت فيه نوعاً من التملق
المقوت فقلت :

— إنها فتاة جريئة على كل حال ...
— هو كذلك يا أمه ، وإني لأحب هذا النوع
من الفتيات

— آه ... ماذا تقول يا هاري ؟
— إنني أعني ماقلت ، فاني أحب الأشخاص
الذين يعرفون ما يريدون ثم يجاهدون حتى يحصلوا
على أمانيهم

— إني متأكدة يا هاري أنك لا تميل لفتاة
تتصيد الشبان من الطريق ...

وبعد يومين تأكدت أن قولي هذا كان عديم
الجدوى ، لأن هاري وماري أصبحا لا يفترقان فكانا
يشتركان في لعب التنس والسباحة والرقص وكل
شيء حتى صار من العسير التفريق بينهما

كان ولدي أعشى ... أحرق ... لا يدرك ماهو
مقدم عليه ... ولا يعرف أن مصادقته لهذه الفتاة
جعلت الثورة تتمشى في دماي ، والغضب يستبد بي
أشد الاستبداد ، والحزن يسيطر على قلبي ، لأنني كنت
أمقت هذه الفتاة من كل قلبي ...

وبعد قليل من الزمن عزمتم على أن أحادثها
لأفهمها أن هاري لن يفكر في الزواج في مثل هذه
السن المبكرة ولن تناله مهما فعلت لأنه ولدي ورجلي
وحدني فأنا أمه ولي مطلق التصرف فيه ...

ولكن والأسف لم أستطع أن أحادثها ، لأنها
طائشة غير مؤدبة بل كانت على النقيض مثال الأدب
الخجول والشخصية الجذابة المحترمة والشباب المفرى

لم يكن يدور في خلدي مطلقاً أن هاري يتزوج
ويذهب مع المرأة الخليقة به ويتركني وحيدة فريدة ؛
لقد كنت أوقن في ذلك الوقت أن هذا اليوم لن
يأتي مطلقاً وسيقضي هاري كل حياته بجانبني
يضحي بكل حب من أجلي ... أنا أمه الحبيبة ،
ولذلك كنت مستعدة أن أدفع أي ثمن مهما بلغ من
أجل بقاءه بجانبني ... فقد تصاييت من أجله ...
عملت على أن أكون رشيقة كفتيات المدارس
لأروق في عينيه ، تركت أصدقائي ونبذت حياة الرزاة
والكبر وسرت بجانبه في طريق الشباب وملاهيته ،
كل ذلك من أجله ... من أجل ولدي العزيز .
لقد جاهدت لأستبقيه بجانبني ... ولكن في
لحظة خاطفة فقدته ... أجل فقدته

ما كاد هاري يحصل على إجازة الجامعة حتى
ذهبنا في رحلة إلى شاطئ الريفييرا ليستعيد نشاطه
وسط المناظر الخلابة والطبيعة الساحرة وهناك
شعرت بالنعاسة تحتاج قلبي الكسير بعنف شديد ،
وأحسست بالشيخوخة تدب في أوصالي فتوهنها
وتنهكها حتى كرهت جميع الناس ... كرهتهم
في شخص ماري ريفرز تلك الفتاة الرزينة الجميلة
التي سرقت هاري وانتزعت من بين أحضاني والتي
لم يقو المسكين على مقاومة سحرها ومغالبة فتتها
ففتنته اللعينة في مدى يومين ..

لقد دعوتنا للعب البوردج دون سابق معرفة فلي
هاري دعوتها مسروراً مرتاحاً ، وبعد انتهاء اللعب
وانصراف الناس التفت إلى هاري قائلاً :

— إنها مثال الفتاة المصرية اللعوب لأنها
صادقت شاباً صغير السن وامرأة مسنة مفضضة الوجه
دون ...

— فقاطعتني هاري بهدوء :

شيئا من ذلك لم يحدث وأخيراً سمعته يقول :
— لقد مضى هذا الوقت يا أماء ... إنك
تتكلمين عن الماضي ... إننى ابن هذه اللحظة ...
لقد ولدت من جديد ...

ثم ... ثم غاب عن نظري ...
كنت مطمئنة برغم ذلك لأناس سرجع إلى لندن
حيث يستطيع هارى أن ينسى فتاته الطريفة ذات
العينين الواسعتين العميقتين والشباب الغض الفائن،
وينظر لأمه المسكينة التى قضت أتعس زهرة فى حياتها
وفى اللحظة الأخيرة قبيل رحيلنا رحت أنلهى
بالنظر من خلال النافذة وما كدت أفضل حتى
رأيت مارى تميل على هارى وتقبله فى وجنتيه
فيضمها هو بدوره ضمة حارة ويقبلها قبلة طويلة عميقة
لم أستطع أن أحتمل هذا النظر لأننى كنت
أفضل أن أتعذب أمر العذاب ولا أراها تقبله ...
تذكر همتها كالموت، ومقمتها كجهنم، وشمرت فى هذه
اللحظة أن النيرة تجتاح قلبى فى عنف وثورة
ثم أقبل هارى فرحاً مغتبطاً ولم يعرف المسكين
أن كلماته التى فاه بها بعد لحظة قد وقعت على رأسى
وقوع الصاعقة ..

— ماما ... ماما ! ستذهب مارى إلى لندن
ولذلك سترافقنا فى رحلتنا ...
فأجبت بوحشية نائرة :

— سوف لا تذهب هذه الفتاة إلى لندن ...
سوف لا رحل معنا ... أفهمت ما أقول ؟
— ولكنها سترحل معنا يا أماء وقد وعدتها
بذلك ... إنها جميلة ماهرة ... وهى المرأة الوحيدة
القادرة على أن تجعل السعادة تغمر قلبى ، فهى تعمل
كل شيء فى سبيلى ومن أجلى ...

وما كدت أسمع كلماته هذه حتى انتفضت واقفة
كحيوان حبيس وقلت صارخة :
— ماذا تعنى أيها الطفل ؟

الفتان ، إلا أن كبرياءها وعزة نفسها أقامت حاجزاً
شفافاً بينها وبين أم الشاب الذى تحبه ...
كانت تخبرنى بأدب وكياسة أن أعنى فقط
بشئوني ولا أضايق الآخرين ، فأقول لنفسى حينئذ
إنها خبيثة ماكرة ، ولذلك كنت أخشى حبها لولدى
العزير الوحيد .

وفى آخر يوم من أيام زهرتنا فى الريشيرا
جلست فى غرفة نومي أنتظره لأبذل آخر مجهود
لاسترجاعه إلى أحضانى . فتجملت وتأثقت فى ملابسى
حتى أظهر أماءة جميلة مقبولة . وفى منتصف الليل
أقبل هارى بابتسامته الحلوة الحبيبة هاتفا :
— هالو ماما ...

وحينئذ نظرت إليه فشعرت بالدموع تفرق
فى عيني شفقة به ورثاء له ثم قلت :
— أظن يا هارى أن الانسان يحذر به أن
يواجه الحقائق كما هى ... لقد أصبحت لا أحب
أمك لأن قلبك قد علق فتاة تكرهنى كل الكراهة ؛
لقد انكسر قلبى وخاب أملى ...
ونظرت إليه فرأيتة ينظر خلال النافذة نظرة
حالة مفكرة ، فقال دون أن يلتفت إلى :
— أنت مخطئة يا أماء فى مارى ... هى
لا تكرك ... هى ... لماذا ؟ ... هى لا تفكر
فيك مطلقاً ...

فقلت متحمة هذه الالهة بجلد وصبر ، ولكنى
لم أتمكن من جعل صوتى مستقيماً رائقاً :
— وأنت يا هارى ... ألم تعد تفكر فى أمك
العزيرة التى كانت لك كل شيء ، فى العالم ، فى مدى
العشرين سنة الماضية ... أنسىنى يا هارى ...
يا ولدى العزير ؟

وانتظرت على مضض ... انتظرت أن يسجد
الابن أمام أمه الحبيبة ليعتذر إليها ويؤكد لها حبه
وإخلاصه كما كان يفعل هارى من قبل ، ولكن

— لقد كنت أفضل أم في العالم ... ولكن

حياتي يا أماء ... سأسير في الطريق الذي أراه لنفسي ؛
اننى أرجو منك ألا تتدخل في شئوني مرة أخرى ..
إننى حر ... حر لأن حياتى ملكى وحدى لا ينازعنى
فيها منازع ... حاولى يا أماء أن تأخذى الأشياء
كما هى .

ثم قال ببطء وصوته يتهدج :

— لقد جاهدت أيتها الأم العزيزة ولكنك
فشلت .. وهذا ما يحزننى .

— أيمكن أن يكون هذا حقيقة ؟ هارى العزيز
الذى من أجله نحيث كل حياتى يخاطبني الآن بهذه
اللهجة القاسية ... ما أعظم تماسى وشقاى ...

وقد نعمدت أمام الله ونفسي ألا أغفر لمارى
ريفرز ما فعلت ... سوف لا أحبها ولا أصادقها
مطلقاً ... مطلقاً ...

وكان عهدى هذا هو المار الأبدى الذى
ظللتى بظله المظلم المقنوط طيلة حياتى، وسيرافقنى لعنة
أبدية إلى قبرى . لأننى حافظت عليه ...

ومرت الأيام متتابعة كنفمة تتكرر فى إحدى
الأوبرات الثقيلة المملة ، وكنت لأزورها منذ تزوجا
إلا لما ، فهارى أدمس الخمر وأصبحت
لا أراه إلا قليلا ، ومارى أخذت تلهو بسيارتها
الصغيرة تقودها بسرعة جنونية خيفة هابطة نحو
المدينة أو آتية منها طيلة النهار

وفى يوم من أيام الربيع الجميلة زارنى هارى
وزوجته وقد عزمنا على أن يقضيا يوم عطلة فى
إيست بورن ...

كانت مارى جميلة فى هذا اليوم بكل ما فى هذه
الكلمة من معان ، رائعة فاتنة .. فكانت فى شعرها
الأسود الجميل وعينيها اللامعتين اللتين تنطقان

— ستقترن بي مارى

— هارى .. إنك مجنون يا ولدى ، لأنك
ستتزوج من فتاة لم تعرفها إلا منذ أسابيع .
ستلوك الأفواه سيرتك ، وستتناولك الألسن بالهزء
والسخرة .. ارجع لصوابك يا هارى وكن ابنى
الطبيع كما عهدتك ..

— دعيهم يتكلموا يا أماء فانى لا أعبا بهم
ولا بمحدثهم مادمت أحب مارى وهى تحبني ..
عند ذلك انفجرت باكية بكاء مرأ لم أعرفه
منذ وفاة زوجى العزيز ثم قلت :

— أنت مجنون يا هارى .. مجنون حقاً ...
وكان الحزن قد أخذ منى كل مأخذ ، والغيرة
كانت تفرى عظامى بوحشية رهيبة .. وقلبي ..
وقلبي شعرت به يقف عن الحركة ، وكأن نصلاً حاداً
اخترقه بعنف فتمزق ، لأن هارى سيفر من
يدى .. ثم تمالكت نفسي وقلت بحرارة ...

— هارى .. ولدى .. كيف تتزوج من
فتاة لا تعرف من هى وما أصلها . ؟ لا بد أن
تكون فقيرة معدمة ، وإلا لما بذلت هذا المجهود
الهائل لاقتناصك .. كل الناس سيقولون إنك ضحية
غريزة ضعيفة ...

— هذا لا يمنهم ... مارى يتيمة .. لقد
عرفت مارى جيداً وأظنها هي المرأة الوحيدة القادرة
على أن تجعلنى سعيداً .. سعيداً جداً يا أماء ...
سأتزوجها .. أجل سأزوجها وأرجو أن تحبها بعد ذلك
— مطلقاً .. مطلقاً .. سأكرهها ..
سأقمتها .. ستكون عدوى اللدود .. هارى إنى
أمنعك أن تتزوج من فتاة ...

— كفى يا والدتى .. لا تنطقي بشئ تسدمين
عليه فيما بعد ...

ثم قال وكأنه ينظر فى آفاق بعيدة مجهولة :

من الذى مات . . . ؟ من الذى ذوى كشمعة فى
مهب الرياح ؟ . . . لا يمكن أن يكون هارى . . .
هارى الذى كان مثلاً حياً جميلاً للشباب الغض
البانع . . . ؟ لا . . . لا . . . لا يمكن أن يكون
هذا حقيقياً . أخبرنى ثانية يا دكتور . . . أخبرنى
ثانية ماذا تعنى ؟ . . . !

وأخيراً وقف الرجل أمامي وأخبرنى بحزن
عميق أن ماري كانت تسوق السيارة بسرعة جنونية
عندما اعترضها حاجز مرتفع فانقلبت بهما السيارة ،
فهاري مات وماري أصيبت ببعض جروح . . .

— هارى يموت وماري تبق حية ؟ ! كانت
تسوق السيارة . أجل هي التي قتلتها بإهمالها الفظيع .
ليعاقبها الله . . . ليعاقبها الله . . .

فأجابني الدكتور بصوت خافت مرتعش :
— لقد عوقبت ياسيدتى . . . لقد كسر ظهرها
ثم أمسك بيدي التصلبتين بوحشية مريعة
وجعل يكفكف الدموع الغزيرة التي انهمرت كالطر
الغزير . . .

كم أنا حزينة . . . وكم أنا شقية . . . لقد قتلت
اللعيثة . . . لقد قتلت وحيدى . . . حياتى . . . رجلى . . .
ومرت على ساعات مظلمة خالكة مليئة بالأحزان
طاخحة باللوعة . . . كنت أخاطب نفسي فيها قائلة :
— سأنتقم لك يا هارى . . . سأنتقم لك يا ولدى
لقد قتلتك الملعونة فعليها لعنة الله

وقد رأيته واقفة أمام المحكمة تدلى بجريماتها ،
فاعترفت أنها كانت تقود السيارة بسرعة جنونية ،
ولكنها عند ما قيل لها إنها هي المسؤولة الوحيدة عن
وفاة زوجها . . . اهتزت الفتاة . . . اهتزت من الأعماق
وصار وجهها باهتاً ترتسم عليه علامات الألم الصارخ
والحزن العميق . . . ثم انتهت المحاكمة وبرئت الفتاة
المجرمة التي قتلت ولدى . . . عند ذلك لم أحتمل الصدمة

بمعان عميقة بعيدة . . . ويديها الرقيقتين وقدها
الرشيق الساحر . . . كانت تمثل ملاكاً من الحسن
والجمال هبط الى الأرض ليؤدى رسالة حية خالدة
في الفتنة والاغراء .

وقلتي هارى ضاحكاً فرحاً ، ولكنني شممت رائحة
الخر تنبعث بشدة من فيه ، ثم قال لي إنه يريد أن يخبرنى
بخبير سار عند رجوعه من زهرته ، وما كادت
ماري تسمعه حتى ابتسمت ابتسامة رزينة ولم تنبس
بكلمة لأنها لا تحادثنى إلا قليلاً . . . فكانت رزانتها
ونظراتها الثابتة العميقة تريد من حنفي عليها وكرهتي
لها . . . وأخيراً ذهبنا لزهرتهما

لا أدري كيف أكتب البقية الباقية من سلسلة
عذابي المرير . . . أهى الذكري أسطرها لتفرج
من كربتي أم هي حياة حافلة بالظلم والغيرة قضيتها
واسترجعها الآن في غيالي لأشعر باللوعة تسحق
عظامي والندم يكوى قلبي ؟ . . . لا أدري . وإنما
أدري أنى معذبة شقية . . .

وفي عصر هذا اليوم المشؤوم فوجئت بزيارة
الطبيب بورنت الذى ساعدنى في ولادة هارى ، كانت
نظراته حزينة كثيفة رأيت خلالها دفيناً وحزناً
بالغا فسألته جافلة :

— ما الذى حدث يا دكتور . . . ؟ أجبنى بربك
ماذا حدث . . . ؟

— لا شئ ، يا عزيزتى . . . إنما هناك
حادث مروع

عندئذ سرخت من أعماق قلبي :
— هارى . . . هارى . . . أخبرنى بسرعة
هل هارى بخير ؟ . . .

— هارى سعيد ياسيدتى . . . آه . . . لقد . . .
لقد . . . مات ولدك المسكين . . .

— مات . . . مات . . . ماذا تعنى أيها الرجل ؟ . . .

— لن أرحمها .. لقد أذاقتني مر الحياة ، ولذلك سأعذبها .. سأعقبتها

— إنك لا تعذبينها وحدها ياسيدي .. فإن امرأة ابنك ستصير أمًا عما قريب

— ما .. ماذا تقول يادكتور .. ماذا تقول ؟ شعرت في هذه اللحظة أني أهتز بكليتي اهتزازاً عنيفاً كأنني ريشة في مهب الرياح ... إذن الخبر المهم الذي أراد هاري أن يقوله لي هو .. هو هذا الخبر . يا إلهي لم يمش هاري العزيز حتى يرى ابنه وفلذة كبده يدرج على الأرض ... لم يتمتع بشبابه ولم ير السعادة التي تصبو إليها نفوس الآباء ...

ولأول مرة في حياتي صرخت من الأعماق وبكيت بدموع الحزن الذي لا يفنى ، والألم الذي لا يسكن ... بكيت من أجل ذلك الطفل اليتيم الذي حرم عطف الأبوة ... فما أشقاني من امرأة رمتها الأيام ذرة مضطربة في هذا المحيط الواسع الشاسع فتقلبت في أجواء قاتمة مظلمة ، وراحت تتقاذفها أعاصير الحياة القاسية المريعة بوحشية وقسوة . بكيت بحرارة ولكني لم أبك من أجل ماري ، لأنني لن أنسى لها جريماتها ، ومع ذلك تمنيت لها الشفاء من أجل الطفل اليتيم الذي يعيش في أحشائها ... ولذلك انتظرت قرار الدكتور الذي أخبرني أن ماري في حالة سيئة ، وستلد بصعوبة ... وبهذه الكلمات القاسية امتلأ كأس شقائي حتى فاض وأغرقني ، ولم أعد أحتمل ... لم أعد أحتمل

لم أستطع أن أجلس إليها إلا بعد مدة ... وكانت وقتذاك مضطجعة على ظهرها يهدو، على فراش المستشفى البسيط . كانت كالجمجمة الهزيلة الضعيفة ... ولكن عينيها ظلتا عميقتين ساحرتين لم يحب بريقهما ولم ينطفئ نورهما ... وشعرها الاسود الليل ... كان متهدلاً باهلاً لطيف فوق الوسادة .. كانت نبيلة في رقتها رائعة في نظرتها ... حينئذ لم

فجست على مقعد خارج المحكمة فرأيتها أمامي شاحبة الوجه منكسرة النفس ... فنظرت إليها وصرخت في وجهها بعد أن هزرتها هزراً عنيفاً ثم صحت بها : — سأقتلك أيها المجرمة ... سأقتلك لأنك قتلت ولدي الوحيد ...

كانت الفتاة أقوى مني لأنها شابة في عنفوان الشباب ... كانت تستطيع أن تطرحني أرضاً ولكنها ظلت صامتة حزينة ، وكان وجهها الحزين يمثل الألم الصامت النبيل وترسم عليه علامات غريبة غامضة كافية لأن تبث في أفسى القلوب الشفقة والرحمة ثم ... ثم رأيتها تتنح وتسقط على الأرض بقامتها المديدة ووجهها النبيل أبيض كالثلج ... لقد تمددت على الأرض فاقدة الوعي ، وكانت حتى في إغمائها نبيلة هادئة رزينة

أجل لقد انتقمتم بعض الشيء ... لقد جعلتها تتألم ... لقد جعلتها تعرف أنني سأنتقم ، حسن ، سوف ترى ...

لا أدري أيهما يستحق عطف الناس وأيهما يستحق سخطهم ... أمي الأم التي تحزن لوفاة ابنها وتنقم له من قاتله ... أم الفتاة التي قتلت زوجها ؟ لا أدري .. ولكني حالاً ترنحت ماري رأيت وجوهاً كثيرة ترتفع أمامي ساخطة لاعنة ، وعيوناً تنظر إليّ باشمئزاز وجفاء ... ولكن هذه الوجوه وتلك العيون الظالمة راحت تواسي تلك الفتاة المجرمة الممددة أمامي ... راحت تعطف عليها وتمهدها بالرعاية والحنان ... ربي : أي عدالة تلك التي تعاقب البريء وتبرئ المجرم ؟ ..

وفي هذه اللحظة سعى إلى الدكتور — صديقي القديم — متجهم الوجه ، وفي صوته رنة مريرة من التأنيب والغضب

— ماذا فعلت ياسيدي ؟ .. كان يجب أن ترحمي هذه الأرملة البائسة ... لقد سلكت معها مسلكاً شائناً

أجل لقد كانت تحب ولدى كما أحبه ، وفي هذه
الصرخة التي مازال طنينها يتجاوب في فضاء قلبي
كأنه جرس رهيب في معبد مهجور . . . وفي هذه
الصرخة ألف الأسى بين قلبينا وطهر الحزن نفسينا
وعشنا مدة من الزمن كأننا شخص واحد وروح
واحدة وقلب واحد يخفق من أجل شخص
حبيب عزيز . . .

وهكذا قبلت ماري أن تنتقل إلى منزلي وهناك
بالرغم من العناية الفائقة كانت دائماً شقية تعيسة ودائماً
حزينة باكية . . .

وفي يوم جلست أحدثها عن طفولة هاري العزيز
وكنت قد منعها من ذكر سيرته فلمحتها تفكر بحزن
ثم قالت :

— يظهر أنك جعلته الشيء العزيز الذي ملأ
عليك حياتك ... أهذا حقيقي ؟

— هذا حقيقي ... لأنه حين مات زوجي
كان هاري كل مالي في الحياة ، فقد اشتغلت وتعبت
وضيقت من أجله وحده . . . كان كل كنزي في
حياتي الحزينة ... كان ذلك الشعاع الذي
أضاء حياتي المظلمة ... كان الخيط المتين الذي ربطني
بالسما والحياة ... ولذلك صرت له أما وأباً وأختاً ،
وكان هو لي وحدي لا ينازعني فيه منازع

وغابت ماري في تفكير طويل عميق ثم قالت :

— إنني لا أصدق ذلك ... يخيل إلي يا سيدتي
أن حبك لشيء ما خطر فظيع
— خطر ... ؟ ؟

— أجل يا سيدتي . . . عند ما تحبين شخصاً
تريد أن تستولي عليه وحده ، وهذا سر بفضائك
لي عند ما قاسمتك هاري العزيز ... أما أنا فسوف
لا أكون كذلك مع طفلي ... سأدعه يعيش الحياة
التي يريد أن يحياها ...

عند ذلك فتحت في لأقول شيئاً قاسياً ، ولكني أمام

أتمالك نفسي من أن أحنو عليها قليلاً فقلت لها :
— إنني آسفة ...

فقاطعتني بابتسامة لطيفة صافية

— لا تأسفي فكل شيء قد مضى . . . مضى
كلم رائع دأب خيالي حيناً ثم ولي ... ولي يا عزيزتي
كما ولي الرجل الذي أحبيناه معا ... هناك طفل ...
طفل سيتطلب حنانك وعفوك ...

— لا تخافي يا ماري ...

— ولكن كيف ... كيف ؟

— لقد أعددت كل ما يلزم وستنتقلين إلى
منزلي حالاً تستطيعين الحركة وتعيشين معي حتى
تتحسن حالتك وتلدي ...
وعند ذلك أجابني بانفعال وقد تصاعد الدم إلى
وجهها الشاحب الجميل :

— لا يمكنني أن أذهب معك يا سيدتي ...
لا ... لا يمكن أن أكون عالة على غيري ؛ أجل
لا أحب أن أكون حملاً ثقيلاً بفيضاً فوق أكتاف
المرأة التي كرهتني

قالت ذلك بكبرياء وأنفة كأمية متكبرة أهيت
في الصميم ... ودون أن أدري وجدت نفسي أضغط
على يديها المتصلبتين من الانفعال والغضب وقالت
لها بحنان وعطف :

— حقاً ما تقولين يا ماري ... ولكن يجدر
بنا يا عزيزتي أن نفكر في ابن هاري ، لننس أحقادنا
فقد قاسيت كثيراً يا فتاتي المسكينة ... فهل لك أن
تصفحي عني يا ماري ... اصفحي عن المرأة التي
أساءت إليك فكانت مخبطة عمياء ...

عند ذلك صرخت المسكينة صرخة مزقة نياط
قلبها ... صرخة تعيسة مريرة جمعت كل صنوف
الشقاء وحوث كل ألوان التعاسة . صرخت
المسكينة قائلة :

— هاري ... هاري ... !

— إنني آسفة . . . سأحاول أن أصفح
ثم . . . ثم خرجت هاربة من الغرفة . . . تمنيت
أن أسترجع هذه الكلمات ولكن كبريائي المقوتة
وغيرتي القاتلة منعاني من استرجاعها وإصلاح ما فعلت
وعند ما دخلت حجرتها مرة ثانية رأيته راقدة
ووجهها إلى ناحية الحائط تبكي بكاءً أمراً صامتاً فقسوت
عليها مرة ثانية وخرجت دون أن أتكلم لأنها
لا تستحق الشفقة والرحمة . . . فهل أنا ملاك حتى
أغفر لها جريمتها؟ كلا . . . كلا ستكون عدوتي
للنهاية . . .

وفي ليلة حزينة كثيفة سمعت صوتاً خفياً كأنه
حشرة ميت منبعث من غرفة ماري، أنين مومج
أليم يصل إلى أذني فيحرمني النوم والراحة . . .
صوت حزين حملني على أن أقوم من نومي وأذهب
إلى غرفة ماري فأراها مستلقية على ظهرها مغمضة
العينين، ولكن الصوت الحزين ينبعث من بين شففتها
الجميلتين . وبرغم إرادتي كنت إلى جانبها أنظر إليها
بعطف وحنان وهمست في أذني:

— أظن من الأحسن استدعاء الدكتور بالتلفون

— كم من الوقت قضيته على هذه الحال؟

— منذ . . . منذ غادرتني في أول الليل

شعرت بالخزي والألم يحتاجان قلبي المحطم لأنني
تركته وحيدة في مثل هذا الليلة . كم أنا قاسية وكم
أنا شريرة مجرمة . . .

كانت ماري لا تستطيع الحركة ولا الجلوس . .
كانت تتألم ألماً لا تقوى أشد النساء على احتماله . . .
وعيناها الذابلتان تنظران إلى لاشي وجبينها الملتهب
الجميل . . كل ذلك جعل منها صورة مجسمة حية
للألم العميق والتعاسة البالغة . . . فقلت لها بخنان
عظيم حتى أعوض ماضى:

— هلا استطعت أن أفعل شيئاً؟

نظراتها الرزينة الحاملة، وعينيها الواسعتين في كبرياء،
وعظمتها الثرية الجذابة . . . صمت ولم استطع النطق
وصرت الأيام وفي ليلة زرتها في فراشها فوجدتها
تبكي بتعاسة مرة ثم راحت تنظر إلى باشفاق ورثاء
وأخيراً قالت:

— أريد أن أحادثك يا سيدتي . . . لقد حملت
حلماً سريعاً عن ذلك اليوم المشؤم الذي مات فيه
هاري . . . إن الصمت يقتلني يا سيدتي . . . إن
الوحدة تعذبني عذاباً أليماً . . . لماذا لا تسمحين لي
أن أحدث عنه؟ . . . لقد بنيت حاجزاً منيعاً
بيننا . . . إنني وحيدة في هذا العالم . . . وحيدة
عند ذلك أجبتها يبرود وخشونة حتى لا أدع
مجالاً لها في التحدث عنه:

لماذا تتحدث عنه وهو موضوع مؤلم لكلتينا . . .؟
فأجابتنى بوحشية نائرة كأنها نمر محبوس
— إنني أحبه أيتها المرأة وما زلت أحبه ولن
أجد أحداً سواك أتكلم معه عن هاري حبيبي
المميز . . . إنك لا زلت تكرهينني لأنني سلبتك
وحيدك ولأنني قتلته أيضاً . أيتها المرأة القاسية:
ارحمي . . . ارحمي ضغفي وحزني . . .

— إنك تجهدين نفسك بدون طائل . . .
عندما يولد الطفل وتتحسن حالتك سأ . . .

— سيكون الوقت متأخراً . . . أخبريني
يا سيدتي . . . أخبريني بربك . . . ألا يمكن أن
تصفحي عني؟

ثم مدت يديها الجميلتين النحيلتين في ضراعة
واستغفار . . . وعيناها . . . آه إنني لأراها تنظران
إلي بوحشة وباشفاق وتساؤل وقد انتظرت جوابي،
كان يخيّل لي أن أميل عليها وأقبلها قبلة طويلة تنسى
فيها شقاءها . . . ولكنني تذكرت هاري وميتته
الشناء . . . وخسارتي الفادحة التي لا تعوض،
فقلت لها بصوت منخفض:

— تصفحين عنها ... يا إلهي ... أتعرفين ماذا فعلت هذه الفتاة عندما ولد الطفل ؟ ...
لقد قالت خذ الطفل يا دكتور إلى جدته العزيزة فربما تصفح عني الآن ...
لم أستطع أن أحتمل هذا العذاب فرحت أكرر بعبادة ومرارة ...

— لقد صفحت عنها ... أجل لقد صفحت ...
كان يبدو على الدكتور علامات التعب المضني ...
كأن في عينيه بريقاً هائلاً ؛ كأنه يحمل فيهما سرّاً يريد الكشف عنه ... ونجاة جلس على مقعد وأجلسني بجانبه ثم أمسك بيدي وهو يقول ...
— سيدتي ... سأدلي إليك الآن بشيء مقدس عاهدت ماري منذ ستة شهور مضت أن أخفيه في طيات قلبي الحزين

— أي عهد يا سيدتي ؟ ... أي عهد ؟ !
— إنها عاهدتني ألا أقول لك كيف مات هاري ... ولكني سأنقض هذا العهد وأقول لك ما منعتني ماري المسكينة من قوله حتى تتمنى أن تبعثها من قبرها إن ماتت ... إنها شريفة ونبيلة يا سيدتي ...

عندئذ عيل صبري ولم أعد أحتمل التاميع فقط :
— ما الذي تعهدت من أجله ... قل بربك
— إنك تعلمين يا سيدتي كما يعلم جميع الناس أن ماري هي التي كانت تقود السيارة وقت وقوع الحادثة، ولكن هذا خطأ ... خطأ وظلم ... هاري ...
هاري ... يا سيدتي هو الذي كان يقود السيارة وقت وقوع الحادثة المؤلمة ... فقد كان ثملاً ...

— أقول الصدق حقيقة يا دكتور . ؟ هاري لماذا ؟ ... لماذا ؟ ...

— لأنها وجدتك مغرمة غراماً جنونياً بهاري
(٥)

— لقد مضى ... لقد مضى ... إذهي ونامي ياسيدتي ... سأستريح عما قليل ...
لقد أجهدها الكلام وكان وجهها أصفر شاحباً ... كانت وحيدة ... وحيدة وسط صحراء شاسعة مترامية الأطراف ومع ذلك كان النبل ينشر عليها لونا ساحراً جذاباً يجعل أقسى القلوب ينكسر ويتمزق تحت أقدامها ... حينئذ أردت أن أسامحها وأغفر لها ... أردت أن أسكب في أذنيها كلمات الحب والعطف التي حرمتها ... ولكن ... ولكن منعني من ذلك دخول الطبيب والمرضة .

كل إنسان يعلم خطورة هذه الساعة على أي أم ولكن حالة ماري كانت أردأ الحالات وأعقدها فوقف الدكتور أمامها متعباً منهكاً لأنها كانت مهمة ثقيلة على قواه الضعيفة .

وما دقت الساعة الرابعة صباحاً حتى سمعت صرخة طفل صغير ... فقفزت من مكاني من فرط السرور ، وبعد قليل دخلت غرفتي الممرضة حامله الطفل بين يديها قائلة :

— ها هو ذا حفيدك ياسيدتي ...
حاولت أن أتناوله بين يدي ولكن سخافتي منعتني من ذلك ... ولماذا أصر ؟ إنه ابن هاري الذي قتل ورحل ... ولكن ماري ... ربما تموت المسكينة دون أن أسمعها كلمة الغفران والحب لأنهم لن يسمحوا لي أن أدخل غرفتها الآن ... وبعد برهة أقبل الدكتور وقال :

— إنها لا تريد أن تشفي يا سيدتي ... إنها قوية ويمحق لها أن تفتخر بقوتها حينما تخرج من هذا النازق ولكنها لم تحاول ذلك ... لن تحاول ... وما كدت أسمع ذلك حتى هلع قلبي وارتجفت أعضائي ، وفهمت ماذا يعني فأجبت :

— أنت مخطئ يا دكتور ... إنني أريد ... أن تشفي ... لقد صفحت عنها ...

المريزة . . . إنا نحبك يا ماري . . . ماري . . .
ماري . . . أجيبي يا جيتي . . .

ولكنها لم تسمعي . . . إذن لماذا لا يسمعي
الله . . . سأبتهل إليه . . . وانكبت على وجهي
أبتهل إليه بحرارة وإيمان لم أعرفهما من قبل وبعد
أن فرغت من الصلاة مددت يدي إلى وجهها
أتحسه . . . ولكن . . . ولكن وجدت أن
الأمر قد انتهى . . . وكطير مكدود هزيل وسط
عاصفة هوجاء . . . سقطت ماري المسكينة وسط
زعازع الحياة وشقاء الانسانية . . . لقد ماتت كما
يموت الجندي الشجاع وسط صحراء شاسعة رهبة
وحيداً . . . منفرداً . . . لقد ماتت . . . أجل . . . لقد
ماتت . . . وإني موقنة أنها سعيدة بهذا الموت سعيدة.

والآن وأنا أسير بخطوات واسعة نحو نهايتي . . .
أعيش مع حفيدتي المريزة ماري التي كثيراً ما أجلس
الساعات أحدثها عن أبيها الجميل وأما النبيلة
الشجاعة . . . وإن كنت أحدثها عن أمها حديثاً
جيداً حاراً فاني أجد نفسي أشد احتياجاً من هذه
الطفلة إلى هذا الحديث لأجمل الندم واللوعة
يخففان من ثقلهما على صدي الضيق المهموم . . .
أيتها العاسة . . .

إذا كانت هذه القصة تمس الناحية الشريرة في
الإنسان فقد أدت غرضها المقصود . . . لأنها قصة
امرأة شريرة غيورة، كما أنها قصة امرأة نبيلة النفس
كبيرة القلب . . . لقد قلبها لتحكم الأجيال بعدي
على هذه الفتاة الصغيرة الراقدة الآن بجانب كلالك
والتي تشبه أمها كل الشبه فكأنها قطعة حية منها . . .
وإني لأتمنى أن يكون الحكم عادلاً . . . شريفاً . . .
أبل فرج

لأنها خافت أن تهدم ذلك الحلم الرائع الذي يداعب
خيالك . . . لأنها رأت أن إخبارك بالحقيقة كسر لقلبك
وتعاسة لنفسك ففضلت المسكينة أن تنال سخطك
وكرهيتك وتقع تحت طائلة عقابك وعقاب العدالة
على أن تشوه تلك الصورة القدسية الحبية التي
تحتفظين بها لماري . . . لقد نحت فكانت في تصحيتها
نبيلة، وأحببت فكانت في حبها مخلصه . . . لقد
خافت عليك ياسيديتي، ولم ترد أن تشوه سعادتك
لأنها رأت أن سعادتك هي أن تكون سيرة ابنك
نقية ومكانته سامية في نفسك إلى الأبد

صمت رهيب نشر ألويته فوقنا عقب كلمات
الطبيب الدامية . . . غاوت أن أتخلص من هذا
الكابوس المروع وأتحرر من هذا الجو البغيض
ولكنني لم أفلح وظل صوت الضمير يعلو . . . وعلو
حتى صار أشبه بقرعة اندفاع تدوي في الميدان،
وبصرخات الجنود تطلب الرحمة . . . الرحمة وأخيراً
قلت بعباوة وبسخافة:

— أستطيع أن أقبلها . . . يجب أن أقبلها
يادكتور .

— لك ما تريد يا سيدتي . . . لك ما تريد
وفي لحظة كنت في غرفتها فركمت بجانب فراشها
ورحت أتمتم . . .

— إلهي . . . إلهي . . . أنقذ ماري . . .
اجعل ماري تعيش مدة أطول حتى أستطيع أن
أكفر . . .

لم تتحرك المسكينة ولم تفتح عينيها . . . كان
وجهها الشاحب يحمل معاني هائلة من الألم والشقاء
وكان جبينها النبيل الصافي يلتهب من الحمى . . .
وأخيراً تحركت حركة ضعيفة فهتفت:

— ماري . . . ماري . . . امكثي معنا . . .
لا تفارقينا . . . أنا والطفل سنحتاج إليك أيتها

الأخجار الجائعة

للشاعر الفيلسوف رابندرانات طاغور الهندي
بترجم الأديب شكري محمد عياد

تغيير وجهة السفر،
وقصدنا إلى غرفة
الاستراحة قسمنا
باحتمال تأخر القطار
لارتباك أصاب
الخطوط فهيات
لنفسى فوق النضد
فراشا ، وتأهبت

لأسلم عيني لإغفاءة مريحة . ولكنى لم أجمع تلك المليلة
لغوباً ووصياً ، فقد جاء الرجل يغترل غزله ، ويحيك
خيوط هذه الأقصوصة . .

حينما ألتأتى الخلافات الإدارية إلى اعتزان
منصبى فى جنجارا ، ودخلت فى خدمة نظام حيدر
أباد — كنت فى نخوة شبانى ، وعنفوان قوى ،
فاختارونى جايياً لفرائب القطن فى باريس

وباريس بلد جميل ، يعزف السوستا فيه ألحانه
على مجرى حبرى وحصباء مفروشة ، فيمسيها مساً
دقيقاً ، كأنه أقدام راقصة ماهرة مُفْتَشَنَة ، ثم يسير
بين الآجام مثلياً مرجحنا . ويرتفع منه سلم درجاته
خمسون ومائة ، يجثم فى أعلاه قصر من رخام أقيم
على سفح الهضبة ، وأشرف على شاطئ النهر ،
وأقام فى مكانه ذاك منعزلاً وحيداً . . فما كان حوله
موطن لبشر ، بل خلفته منازل القرية فريداً .

فمنذ مائتين وخمسين عاماً على التقريب أبتنى
السلطان محمود شاه الثانى قصره ذاك ليجمعه آية ترف
وموطن نعيم ، فناء الورد منبجس من نافوراته ،
وغيد الفرس يفرشن رخام الأرض فى حجراته ،
وشعورهن للاستحمام مرسله مخلولة ، وأقدامهن
الناعمة عارية مبلولة ، تعبت فى الماء ، فتنتطلق
حناجرهن بالغناء ، ويرددن أصوات فارس على
ألحان القيثار . ثم صوح جمال القصر وذهب غزه ،

كنت قافلاً وقريبى من رحلتنا فى بوجا عند ما
لقينا الرجل فى القطار . ولقد طالعنا من ملبسه
ومسلكه ما جعلنا نراه بادية الرأى مسلماً من أهل
الأقاليم العليا . ثم راعتنا منه جهارة منطق ، وعذوبة
حديث . فقد كان واسع فنون القول ، ومتشعب
أطراف الكلام . وكنا قبل ناعمى البال لانعم أن قوى
خفية تعمل ؛ وأن الروس قد أصبحوا منا قَب
قوسين ؛ وأن سياسة الإنجليز تنطوى على أسرار ،
وتدور على عمق ؛ وأن الخلاف بين الزعماء القوميين
قد بلغ منتهاه ، وأشرف على مدها . ولكن صاحبنا
الجديد قال وهو يتسم ابتسامة ماكرة : « إن فى
السما والأرض لأحداثاً تجل عما تذكره الصحف » .
وإذ كنا قبل عاكفين على ديارنا لا نفارقها فقد
دهشنا لحديث الرجل ؛ كان يطرق الموضوع السائر
فيخلطه بالعلم ، ثم يعلق على الكتب المقدسة ، ثم
يردد رباعيات لشاعر فارسي . وكان قريبا رجلا
من المتصوفة ، فاعتقد اعتقاداً لا يخالجه شك أن
صاحبنا مزود بقوة مغناطيسية خفية من لدن جرم
فى السماء ! فكان إذا سمع نافعاً من القول تسقطه
شفتا الرجل العجيب ابتسم معدراً ، وألقى السمع
جذلاً . ويخيل إلى أن الرجل لاحظ منه إعجابه ،
فطرب له وارتاح .

وفى الساعة العاشرة مساء بلغنا المحطة حيث يجب

وقد خمد الهواء وهمد فما تحس نفخة ريح ولا نفخة نسيم ، وتحمل برائحة قابضة نفثتها شجيرات توابل تنمو على التل المصقب . وعند ما غابت الشمس وراء التل انسدل على مسرح النهار ستار طويل . وتعجلت التلال المحدقة ظلمة المساء فأجهزت على الشمس ، وابتلعت فترة الغروب حينما يشمّع الليل أضواء النهار . فخطرت لي أن أذهب راكباً في زهرة . وبينما أنا موشك على النهوض إذا بوقع خطوات على الدرج ورأي ، فالتفت فلم أجد أحداً ، فمزوت ما سمعت إلى وهم خداع وخيال غرار . وجلست وما كدت أفعل حتى تخيلت جمعاً كبيراً يهبط الدرج ، فأخذتني رجفة من سرور ، وهزة من خوف . ولئن لم تبصر عيناى أحداً فقد خيل إلى أني رأيت سرباً من عذارى كواعب يهبطن الدرج ليستجمعن في السوستا . تلك الأمسية من أمسيات الصيف . وما كنت تسمع في السهل أو النهر أو القصر صوتاً يبدد السكون ، أو نائمة تخفف الرهبة ، ولكن أذني نقلت إلى في وضوح نضحكات العذارى ، مريحة سعيدة . وحينما ذهبن إلى النهر يتطاردن لأعبات كنت أسمع هديرًا كهدير ارتظام ينبوع بجانة شلال . ولكنهن لم ينتبهن لوجودي ولعلهن لم يريني كما قصر عنهن بصرى . وكانت صفحة النهر ساكنة هادئة ، ولكنني شعرت كأنما حركتها أيد كثيرة ، توسوس فيها الأساور ، ويأتلق فيها الذهب . ثم نضحكن فداغن موجاً عاشقاً فما خلاهن إلا موج عاشق . فتقاذفن برشاش الماء فرحات ، وضربن الموج بأرجلهن الصغيرة فنتطلق في الهواء جبات من لؤلؤ ، فارتجف قلبي عجباً ، وخيل إلي أني أستطيع بشحذ الحس أن أسمع كل ما يقطن ، فما سمعت إلا زفرقة العصافير في الدغل القريب . وخيل إلي أن سترأ من مائتين وخمسين عاماً قد قام من دوني ، فوددت لو رفعت منه ركناً ،

فلا ماء الورد ينبجس من نافوراته ، ولا الصوت الرخيم يرن في جنباته ، ولا الأقدام البيض تلبس بمرمرى أرضه وحجراته ، صار لجياة الضرائب مستقراً ومقاماً ، وأولئك رجال حرموا دل النساء فهم في وحشة سادرون .

ولقد طالما حذرني الحاج « كريم خان » من أن أتخذ في ذلك القصر مقامى . فقد قال لي : « إن شئت فمض هناك يومك ، ولكن إياك أن تبقى فيه ليلك ! » فضحكت منه بنفس لاهية وقلب جرى . ورضي الخدم أن يعملوا هناك نهائراً على ألا يبيتوا فيه ليلاً ، فوافقته دون مناقشة . فان للبيت اسماً يمث الرهبة حتى في قلوب المصوص ، فلا يجروون أن يقربوه متى حماء الليل بدرعه

ولقد جثمت على صدرى أول الأمر وحشة القصر المهجور ، فكنت أحب البقاء خارجه ، وأغرق نفسي في العمل أطول مدة أستطيع ؛ فإذا أبت في المساء كنت منهوكة مكدوداً ، فأنطرح على الفراش فتهدج عيني وتنام .

ولكن قبل أن ينقضى على ذلك أسبوع بدأ المكان يريني من سحره عجيباً ، حتى ليلتاث على الوصف ويمجزني الأمر فما أعرف كيف أستطيع حمل الناس على التصديق . ولكنني شعرت كأنما كان البيت كأنثاً حياً يمتصني دون شعور ، ويخدرني بافراز عجيب من معدته ؛ ولعل البيت بدأ عمله منذ وطئته قدمي أول مرة ، ولكنني أذكر جيداً ذلك اليوم الذي عرفت فيه ما هو بسبيله .

كنّا في بواكير الصيف ، وكانت السوق راكدة فلم يكن لي ما أعمله ؛ وقبيل الغروب كنت جالساً على كرسي مريح على ضفة المساء قرب سلم النهر ، وكان السوستا قد أجفل ، فأنحسر إلى أسفل ، فامتد على الضفة المقابلة كثيب من الرمل يشع بأضواء المساء . والحصباء تحت المياه الضحلة براقة ملتزمة ،

ولما ثَضاً المصاييح . فما كدت أدفع الباب حتى
ابتدروني لجب وضوضاء ، كأن أقواماً يتدافعون
مسرعين ، ويهرعون إلى الأبواب والنوافذ والدهاليز
والشرفات والحجر ، ويستبقون إليها هارين ...
ولكني لم أر أحداً ، فوقفت مأخوذاً لللب مشدوهاً .
وقد قف شعراً رأسي من نشوة مجنونة ، وسطعت في
أنقي رائحة العطور والأدهان وقفت في ذلك البهو
العريض المنزول ، والظلام يكفني ، وصفوف الأعمدة
القديمة تحديقني . فتبينت صوت نافورات تسفع بأمها
رخام الأرض ، ولحناً غريباً يعزفه القيثارة ، وخشخشة
حلي ، ووسوسة خلاخيل ، ورنين أجراس تعد الزمن ،
واصطفاق البلور في علائق الثريات ، وتغريد البلابل
من أقفاص في الدهاليز ، ولقطة اللقائ في الحداثق .
تخلقت أصواتها حولي موسيقى غير أرضية

ثم أدى بي الأمر إلى الاعتقاد بأن هذه الرؤى
التي لا تمس ولا تبلغها يد ولا تنتسب لأرض إنما هي
الحقيقة الفريدة في هذا العالم ، وليس ما عداها إلا
حلم . فلقد كنت أذكر أن اسمي سرجوت بن طيب
الذكر فلان ، وأني أتقاضى مرتباً قدره أربعمائة
وخمسون جنيهاً ، جزاء وظيفة جامع لضرائب القطن ،
وأني أركب كل يوم إلى مقر عملي في عربة صغيرة ،
وسترة قصيرة ، وقبعة عريضة ، فلا أرى كل ذلك
إلا وهماً عجيباً يبعث على السخرية ، فأنفجر ضاحكاً
في صوت أجش ، وأنا واقف وسط البهو الظلم
وفي تلك اللحظة يدخل خادى وييده
مصباح مضاء من الكيروسين . ولست أدري إن
كان يحسبني مجنوناً ، ولكني كنت أفي إلى عقلي
وأثوب إلى رشادي ، فأومن أنني حقاً سرجوت بن
طيب الذكر فلان ، ومهما قال الشعراء إن على الأرض
أو خارجها أصقاعاً تنبجس فيها نافورات لا تبصرها
العين ، وتعرى أصابع غير مرئية على أوتار لا تسمعها
الأذن ، مهما قالوا فأنا ولا ريب أجمع ضرائب القطن

فأختلس النظر مرتعداً . ولكن الجمع ظل خفياً
عن عيني ، يشمله الظلام فلا أراه . ثم هبت عصفه
ريح فاجئة فأزاحت كابوس الليل ، وجمدت صفحة
النهر ، فتلوى كشعر حورية . وانبعثت من الغابة
المظلمة همهمة فكأنها أفقت من حلم أسحرم ...

فليكن ما رأيت حقيقة ، أو فليكن حلماً ، أو
فليكن سراباً التمع من وراء مائتين وخمسين عاماً ،
ثم خبا في مثل ومضة البرق ، أو لمحة البصر . ولكن
هاتيك الكائنات السحرية التي ادلت من حولي ،
تخطو بلا جسد ، وتضحك بلا صوت ، ثم ألقت
بنفسها في النهر لم تعتصر أثوابها النضاجة بالماء
عند ما همت بذهوب . بل حملها الريح على أجنحته ،
كأنها عبير الزهر طوخت به أنفاس الربيع . فأفعمني
خوف محجب ، وخشيت أن تكون عروس الشعر
قد عابثني ، فرأت وحدتي ، فاحتوتني ... وكأنما
أنتي الساحرة لتحطم في شيطاناً فقيراً يتعيش من
جمع ضرائب القطن ! فاعتزمت أن أهني نفسي
عشاء طيباً ، فالعمدة الفارغة موطن كل داء عياء .
فبعثت في طلب الطاهي ، فأمرته بأعداد عشاء فاخر .
وفي اليوم التالي بدا لي الأمر كله خيالاً عجيباً
فتقبعت فرحاً وركبت إلى عملي . وكان على أن
أكتب تقريرى ذلك اليوم ، فتأهبت لعود متأخر .
فلما أدت الشمس بالنفيس إذا بي أجد نفسي مسوقاً
إلى البيت لعله لا أدريها . وإنما كنت أشعر «أهم»
جميعاً في انتظاري ، فلا يليق أن أتأخر أكثر مما
تأخرت . فقامت والتقرير لم يتم ، ثم تقبعت وشرعت
أطوى الطريق الكتيب بعربي حتى شارفت القصر
الواسع المنزول ، الرابض في سفوح الهضاب

وكان سلم الطابق الأول يؤدي إلى بهو فسيح
شيد سقفه على ثلاث أقواس منقوشة ، يحملها ثلاثة
صفوف من أعمدة ضخمة ، والسقف متصل أتيه ،
رازح تحت ثقل وحدته . وكان النهار قد آذن بزوال

على من دنيا الخيال ، كأنها نفحة العطر يحملها نسيم
الريبع . وكأنما كنت أسير في دروب بغداد النائمة
والليل مظلم بهيم ، ميمما شطر مجتمع يحف به الزرايا .
وأخيراً توقفت قائدتى الحسنة قبالة ستر أزرق
عميق الزرقة ، ثم كأني بها أشارت إلى شيء أسفله .
وما كان هناك من أحد ، ولكن جمد الدم في قلبي
من فزع ورهبة ، فقد خيل إلى أنني أبصرت على
الأرض بين طيات الستر عبداً خصباً ، لابساً حلة
من حرير مشجر ، وساقاه ممدودتان قدماه ،
والسيف مسلول على نغذه . فشت صاحبتي تسترق
الخطي ، ورفعت من الستر ركناً ، فلمحت غرفة
فرشت بأبسطة فارسية ، فيها سرير توسدته غادة
لم أر منها إلا قدمين بديعتي التكوين ، في كوث
مذهب عجيب الصنعة ، تطلان من منامة سائفة
فضفاضة زعفرانية اللون ، وتستريحان على بساط من
نخل برتقالي الصبغ ، وإلى جانبها طبق بلوري يتأهب
لاستقبال زائر قريب ، بما فيه من تفاح وبرتقال
وعنب وكثيرى وسكرية مذهبة ، وهفوف حوالى
شذا بخور عطر فكان يقبب عقلي ، ويرين على حواسي
وتقدمت والقلب واجف والطرف طارف لا تخطئ
أقدام الخصي ، فهب مذعوراً فسقط السيف من على
نغذه فرن على رخام الأرض . فصرخت مرتعباً فإذا
أنا قاعد على الفراش أتصيب عرقاً ، والهللال يبدو
شاحباً ، وقد كسفه ضوء النهار ، كليل أشرف
عليه الفجر ، ولم يهجع منه الطرف ولا نام . وماهر
على المتوه يصيح صيحة كل صباح : « مكانك !
مكانك : إنك لنى ضلال ! إنك لنى ضلال ! »
ويطوى بقدميه وحشة الطريق .

وكذاك ولى حلم ليلة ، ولكن بقى ألف حلم ،
وتنافرت أبيابى وليالى ، ففى الصباح كنت أذهب
إلى عملى منهوكا مكدوداً ، لاعتناً سحر الليل وبرقه
الخلب ، فإذا أفبل المساء خلعت بردة النهار ،

من سوق باريش ، وتدر على مهنتى أربعائة وخمسين
جنهماً في العام . ثم أضحك مما كنت أسبح فيه من
وهم وضلال ، وأجلس إلى منشدتى الصغيرة فأقرأ
الصحف على ضوء مصباح الكيروسين ، ثم أفرغ
من صحيفتي ، وأتم عشائي ، وآزى إلى مضجعي في
غرفة صغيرة جانبية ، وأنظر من النافذة فإذا نجمة وضيفة
تطالمنى من فوق تلال (آفلى) ، تحرق من ملايين
الأميال إلى السيد الجامع ، راوداً فى فراشه الصغير
المشواضع ... وأفكر فى ذلك وأطيل التفكير ، فيملأنى
التفكير سرورا ، فلا أدري كيف أغفلت عيني وراى
النوم على جفوني ، بل أهب فأقعد متفزراً ، ولكنى
لا أسمع صوتاً ولا أرى أحداً ، لا شيء إلا أن النجم
خبا ، وضوء القمر الباكى يتسالى من النافذة المفتوحة
كأنه خجلان من اندفاعه . خزيان لتطفله ...

لم أبصر أحداً ولكنى أحسست كأن يداً رفيعة
تدفعنى ، فلما صحوت لم تنبس بكلمة ، بل أومأت
إلى بأصابعها الخمس انحلاة بالخواتم أن اتبعني واحذر
والثقة . فانهضت لا أحدث صوتاً ، ولم يكن فى القصر
سواى ، فكنت فريداً فى أجنحته العتيدة ، نجماً
لأصواته النائمة ، وأصدائه الحاملة . ولكنى كنت
أخشى مع كل خطوة أن أوقظ أحداً . وكانت أغلب
غرف القصر على الدوام مغلقة لا أطرقها أبداً .
فاكتنمت أنفاسى ، وتبعت قائدتى التى لا أراها ،
لا أدري الآن إلى أين ... ! الله ما أحلك الظلام ،
وما أطول الطريق ، وما أبعد المدى ... ! ولكم
جوت من حجرات عليها مسحة الجلال ، ومردت
برازين فيها خشوع الرهبة ، واتخذت من الظلام
جلايب سودا : لم أك أرى دليلتى الفاتنة ، ولكنى
أبصرتها بعين خيالى ، عربية عذراء لها ذراعان قويتان
لاعتان كالمرمر ، تبدوان من بين طيات كمها الفضفاض
وقد طربت على وجهها خمراً رقيقاً ، وتمنطقت خنجراً
ملوياً . نفيل إلى أن ليلة من ألف ليلة قد أقبلت

وتقنعت بقلنسوة من مخمل أحمر ، وارتديت منامة فضفاضة وصداراً موشى ، وقفطاناً سابغاً هفهافاً . فإذا أخذت زينتى جلست على كرسى وانكأَت على حشايا ، واستبدلت بلفائف التبغ « نارجيلة » ملوأة ملؤها ماء الورد . فكأثنى أناهب لاستقبال عشيقه موموقة ، وإن البيان يقصر عن وصف ما تكشفته لى عنه ظلمة الليل من عجائب وخوارق

وبين موج الحلم الجميل ، وشذا الزهر العاطر ، ورنين القيثارة المطرب ، وهفهفه النسيم المعرف ، كان الطرف يسبح فيلمح غادة وضاءة ، هى تلك التى رأيتها قبل فى منامة زعفرانية اللون ، وأبصرت منها قدمين يعضاوين ناعمتين ، فى كوث موشى بالذهب ، مَلَوَى مقدمه ؛ وكانت تتمنطق بنطاق من ذهب ، وتتبع بقلنسوة حمراء تنوس حافها على خد فى بياض السوسن ، وجبين فى صفاء التاج . ولقد والله أخذت بلى . فكنت أطاردها من حجرة إلى حجرة ، وأتأثرها من ردهة إلى ردهة ، وأتقفاها من بهو إلى بهو ، فى منعطفات خلقها الخيال ، ومنعرجات أوغلت فى ابتداعها الأحلام ، فكأثنى أهيى فى الأرض السفلى ، أو أضرب فى طرقات الجحيم ! فأحس فى أريج الجوقيلات هائجة ، وبسات حائجة ، ورنوات حائلة ، وتديلا وعناقاً ، وقلبا خفاقاً ، وهمساً فى الأذن ! ثم تطوق جسدى أفنى عجيبة وتلف حورياتها حولى ، فأفقد الحس وأروح فى نوم عميق وذات مساء أزمعت الخروج على صهوة جوادى ولم أصغ لتوسل أو رجاء ، ولكن أى توسل ؟ وأى رجاء ؟ وكانت على الشجب قبعتى وسترتى ، فبينما أنا موشك أن أنزعهما هب إعصار فاجئ ، مخمل برمال السوستا ، وهشيم الأوراق الدابلة الساقطة على تلال آفالى ، فأطاحهما ودار بهما دورات عديدة فجلبجت فتحكة ممرنة ، تعالت وارتفعت

فياضه بالحبور والسعادة ، ثم تلاشت على تخوم الغروب : فلم يعد عن البقاء محيص ولا متحول . وفى اليوم التالى أقيت - قانطاً - بقبعتى وسترتى فلما أدبر النهار ونشر الكون ذوائبه الطاخية ، سمعت فى هدأة الليل ولولة مكتومة تشق المرائر ، وكأنها صادرة من تحت الفراش ، من تحت أرض الحجر ، من تحت أحجار ذلك القصر العظيم ، من أعماق هوة دامية . من أغوار حدث أسجيم ! وسمعت صوتاً يستغيث : « أواه ! أنقذنى ! تحط أبواب الوهم ، وجز طرقات النوم العميق ، والحلم العقيم ! خذنى إلى جانبك على صهوة جوادك ، ثم ضمنى إلى قلبك ، وطرئى فوق الرنى والحزبون ، واطو الغاب والنهر ، وجز رجلم البيد ! خذنى إلى علاك المضي ، وشمسك الصاحية ، وهوائك الطالق » ونجاة فى تلك اللحظة صاح ماهر على المنجون : « مكانك ! مكانك ! إنك لى ضلال ! إنك لى ضلال ! » ! ففتحت عيني على ضوء يفيض فيغمرنى ، وإذا بخادى قد أقبل بخطاباتى ، والطاغي ينتظر أوامرى ! فقلت : « كلا ! لن أبقي هنا بعد الآن » وحرمت فى ذلك اليوم حقائبي ، ونحوأت إلى مقر عملى ، فابتسم كريم خان ابتسامة طفيفة ، فاحتمت غيظاً ولكنى لم أنبس بكلمة ، وأمهكت فى العمل ؛ فلما أقبل الليل شت منى الفكر وشعرت كأثنى كنت ضربت موعداً لأبد أن أوفيه ، وبدت لى مراجعة ضرائب القطن شيئاً تافهاً لا غناء فيه ، ثم خلت الحاضر وهما ، والسعى فى سبيل العيش ضلالاً وجرباً وراء عرض تافه . فألقيت القلم وطويت الدفاتر ، وركبت عربتى الصغيرة . ولا حظت أنها توقفت من تلقاء نفسها أمام بوابة القصر الرخامى ، وكان الشفق يكلل جبين الأرض ، فحشمت الخطى صاعداً الدرج ثم داخلها الحجر . وكان يرين عليها

لم يبقه عن الهوى جنونه ، فصار يأتي كل صباح ويحوم حوله مفتوناً بسحر المارد الرمرى ، فاندفعت إليه لأبالي بالزوبعة الثائرة والمطر النهمل ، ولم يجب الرجل ، بل نحاني عن طريقه ، وظل يحوم صائحاً صيحته المجنونة ، فكانه طائر يرفرف مسجوراً حول أنياب ثعبان ، فعدوت إلى مكنتي وسط المطر النهمر ، فكانني مجنون ذاهب العقل مسلوب الرشاد . وسألت كريم خان : « خبرني ما معنى كل هذا ؟ » فقال : إن جدران هذا القصر ضمت عواطف كبتت ، ونزوات كتمت ، وشعلا من اللذة تارت والتهب ؛ فتصاعدت منه دعوات ولعنات من قلوب مكومة ، وآمال محطمة ، فصيرت كل حجر منه جوعان ظمآن ، فكانه غول جائع يتبلع كل من يدنو منه . فلم يستطع إلا فلات من أنياب هذا القصر كل من أقام فيه ثلاث ليال متتابعة ، إلا ماهر على الذي دفع عقله ثمناً لنجاته فسألت : « أما من خلاص ؟ » فأجاب الرجل المعجوز : « هناك طريق واحد فحسب ، ولكنني سأسمعك صعب وعمر ، وسأرشدك إليه ، ولكنني سأسمعك قبلاً قصة عذراء فارسية عاشت في ذلك القصر الفخيم ، وإني لقصة لم تعرف الأرض أخفم منها » وفي تلك اللحظة تناقل السافرة أن القطار قد أقبل . هكذا سريماً ؟ وطفقنا نرتب أمتعتنا عجولين . وبينما كان القطار يفرز زفيره وهو داخل المحطة ، رأينا رجلاً أجنبيّاً يطل من نافذة في الدرجة الأولى ويحاول أن يقرأ اسم المحطة . وما كاد يلمح صاحبنا حتى ناداه وحياء وأخذه في رفقته . وكانت تذاكرنا للدرجة الثانية ، فلم نعرف الرجل ولا خاتمة قصته . فقلت : « من الواضح أن الرجل ظن فينا البلاهة والسذاجة فآخذنا هزأة وملهاة ، فالقصة خيال من مبدئها إلى منتهاها »

سُكرى محمد عباد

صمت عميق ، وقد ساد الظلام غرف القصر فبدت غاضبة معرضة . وامتلاً قلبي ندماً ولكني لم أر أحداً أفضى إليه بسر فؤادي ، أو أسأله المغفر والمغفرة ؛ فحست في ظلمة القصر موزع الفكر مشقت الدهن ووددت لو كان لي قيثارة فأضرب على أوتاره ، وأزجي منه الألحان إلى غادتي المجهولة : « أيتها النار ! إن الفراشة الضالة التي أرادت لتبتعد عنك قد عادت لتري بهاءك ، فأغفرى فإنما هي مرة واحدة ، والهبي جناحيها يجذونك : » وغطاء سقطت دمعتان فأحدرتا على جبينى ، وحلقت على تلال آفالى سحب سوداء ، والأحراج الكثيفة تنتظر ، ومياه السوسنا القائمة تترقب في قلق وسكون خفيف . ثم مادت الأرض ، ومار الماء واهتزت السماء ، وهبت في النابة المهجورة عاصفة ثائرة ، ففرقت أبواب القصر

وكان الخدم كلهم في مكتب عملي ، فلم يبق منهم أحد فيضي المصاييح ، وكانت السحب منعقدة والقمر ممتحفاً ، فأحسست في الظلام الدامس امرأة منبطحة على وجهها فوق سجادة تحت الفراش ، تشد بأصابع يائسة شعرها الطويل المتناثر ، وقد تسائل الدم على جبينها الوضاء ؛ وهي آتات تضحك ضحكات قاسية ، وآونة تصرخ صرخات مدوية

ولم تنقطع الريح طوال الليل ولا خمدت تلك الصيحة الأليمة ، فطفقت أهييم في الظلام من حجرة إلى حجرة ، وقد سمر الهم قلبي ، وأظلم الحزن نفسي ... من أواصي ولا أحد يجنبي ؟ ومن هي تلك التي جن جنونها من عذاب وألم ؟ ومنذ متى جثم على قلبها ذلك الحزن المقيم ؟

وصاح الرجل المعتوه : « مكانك ! مكانك ! إنك لبي ضلال ! إنك لبي ضلال ! » فإذا النور قد انبثق ، والفجر قد بزغ ، وماهر على يطوف بالقصر يصيح صيحة في ذلك الطقس المعين ، وخطر لي أنه ربما كان قد عاش في ذلك القصر أيضاً ، ثم

شعرك أثناء حديثك
معي ، ومن حيث أن
الظلام سيحول بينك
وبين رؤية وجهي فلن
ترأى من شيء . أنا
أعتقد أن لديك شيئاً
ثقيلاً يجهد قلبك

سيليزيت — ليس
هذا الشيء فوق قلبي ،
وإنما هو فوق أنا ،

ولا أستطيع أن أقول : أين هو ؟ إنه يمكن أن يكون
فوق روحي ، وإنه لشيء ثقيل ، وهو يلهم الفهم ،
وإن كنت لا أدري ما هو موضوع ذلك الفهم غير
أنني أزرع تحت هذا الثقل

ميلياندر — لقد تغيرت كثيراً ياسيليزيت ،
وأنا أيضاً لدى كلام أريد أن أتحدث به إليك ، أنا
لم أعد أرى وجهك السابق ، وأما زهرتا وجنتيك فلم
تعودا تنتمشان تحت قبلاقي كما كانت الحال قبل الآن
إذ كنت تضحكين كلما قبلتك

سيليزيت — فيما مضى كنت أضحك في أغلب
الأحيان ، أما الآن فأنا أكثر سعادة

ميلياندر — لا أدري أحقاً ما تقولين أم غير حق
ياسيليزيت ، إذ قد يحدث أحياناً أن تشعر الروح
بالسعادة بينما يكون القلب قد وصل إلى أقصى حدود
الاحتمال ، ولكن فلندع كل هذا ولنقول لي قبل
كل شيء : ما الذي يعذبك هذا المساء ؟

سيليزيت — هو أن أجلافيين سترتحل

ميلياندر — أجلافيين ؟ هل قالت لك ذلك ؟

سيليزيت — نعم

أجلافيين وسيليزيت

رواية تمثيلية في خمسة فصول

للطبيب البلجيكي موريس مازرنك
بقلم الدكتور محمد غريب

الفصل الثالث المنظر الأول

يقع هذا المنظر في حديقة القصر بين « ميلياندر »
و « سيليزيت »

سيليزيت — عفواً يا ميلياندر ، فأنت تريد أن
تكون منفرداً ، وأنا دائماً مبعث من مباحث أحزانك ،
ولكنني سأنصرف حالا . أنا خارجة الآن من غرفة
« أجلافيين » إنها نائمة وقد قبلتها فوق شفتيها
وبالرغم من أن النجوم تسطع فوق سريرها فإنها لم
تستيقظ . أنا لن أعوفك وقتاً طويلاً وسنذهب معاً
لنوقفها بعد قليل ، لأنها تبكي في حلمها ، وأنا لم
أجروء على إيقافها وحدي ، ولكنني أريد أن أتحدث
إليك عن شيء ، ولا أدري أحقة أنا فيه أم مخطئة ؟
كما أنني لا أدري أخيراً ذلك الشيء أم شر ؟ ولا أريد
أن أسأل عنه « أجلافيين » ولكنني أسألك الصفع
عني إذا كنت خاطئة

ميلياندر — ماذا حدث ياسيليزيت ؟ تعالى هنا ،
تعالى على هذا المقعد واجلسي على ركبتي ، لأداعب

ولكن من حيث إنك استطعت أن تقول ما قلته الآن ، فأنت لم تعودى فى حاجة إلى أن تفهمى شيئاً جديراً ، وإنما أنا وحدى الذى لم أكن أفهم .

سيليزيت — لا لا يا ميلياندرى المسكين . إن خيريتك هى التى تتكلم الآن . إننى أعرف ما الذى ينبغى أن يكون ، ومع ذلك فأنا لن أستطيع أن أكون مثلكما .

ميلياندر — أنا لم أعد أعرفك يا سيليزيت كأننى لم أكن قد رأيتك قبل الآن . إننى لم أكن أفهمك ، لست أدري من أية سماء أنت تنزلين عند ما تتكلمين بهذا الأسلوب ؟ ! .

سيليزيت — إننى أنزل من أجلافين يا ميلياندر . ميلياندر — إننا جميعاً نزل من أجلافين يا طفلى إذ أننا منذ عرفنا أجلافين لم يعد لدينا منبع مشتهى لأطفاء غلثنا إلا منبع الجبال ، ولكن هل تظنين أنه يوجد فرق كبير بين روحك وروح أجلافين ؟ . سيليزيت — نعم أنا أظن أنه يوجد بين روحينا فرق عظيم .

ميلياندر — أنا لا أظن ذلك ، ولا سيما حينما كنت ألح ما كان يحتجى فى نفسك وراء خحكات تشبه خحكات الطفولة البريئة . إن الانسان يتجه عادة إلى الأرواح التى تعرف كيف تظهر نفسها ، على حين يجب عليه أن يعرف جيداً أن الأرواح التى لا تظهر نفسها قد لا تقل نبلا عن الأولى ، بل يمكن أن تفوقها فى السمو ما دامت هى واثقة من نفسها . سيليزيت — لا لا ، مهما أعمل فسيكون عملى نوعاً من العبث ، إنه ليس مماثلاً لعمل أجلافين من جميع الوجوه يا ميلياندر ؛ وحينما أعمل شيئاً أحبه فأنا أكون قد حاولت أن أقلد فيه أجلافين .

ميلياندر — متى ذلك ؟ ولماذا ترنحل ؟ سيليزيت — هى لم تنبئنى بالسبب ، ولكنها تؤكد أنها سترنحل مادامت تعتقد أن هذا هو الشيء الذى ينبغى عمله ، ولهذا أنا أسائل نفسى : أليس الأفضل أن أكون أنا التى يجب على أن أرنحل ؟ . ميلياندر — أنت ؟ ماذا حدث ؟ .

سيليزيت — لم يحدث شئ ، وإنى أرجوك — إذا لم ترد أن تبكيها بدون سبب — ألا تتحدث إليهما بذلك . ولكن أرايت يا ميلياندر أننى فكرت فى كل هذا حينما كنتمما معا ، وأنا كنت بجانب جدتى ؟ . عند ما كنتمما تعودان من التزهة سعيدين مرتبطين ، كان كل من يراكما على هذه الحال يصمت بالرغم منه ، أما أنا فقد كنت أقول لنفسى فى أغلب الأحيان : إننى لست إلا شيئاً صغيراً ضئيلاً غير قيم باصطحابكما ، ولكنكما كنتم دائماً خيرين نحوي بدرجة لم أتبينها إلا فيما بعد ، وفى أكثر الأحيان كنتمما ترغبان فى أن أرافقكما ، لأننى كنت حزينة ، وحينما كنت أصطحبكما كنتمما تظهران أكثر غبطة من المعتاد ، ولكن روحيكما لم تكونا تحتفظان بسعادتهما ، وكنت بينكما أجنبية فاترة ، ومع ذلك فليست هذه غلطتكما ولا غلطتى أنا أيضاً . أنا أعرف جيداً أننى لا أستطيع أن أفهم كل ذلك .

ميلياندر — يا عزيزتى سيليزيت الخيرة ، إن أجلافين محقة فيما تقوله عنك ، وإننى لم أكن أعرف أنك نقية إلى هذا الحد ، ولكن ما الذى تظنين أنك لم تفهميه ؟ هل تظنين أن هناك شيئاً نفهمه نحن ، وأنت لا تفهمينه ؟ أنا آسف يا سيليزيتى المسكينة ، فالفرق بين الأشياء ضئيل إلى حد أن الانسان لا يستطيع أن يعمل لماذا هو يجب أو يفض ؟

ميلياندر — سيليزيت

سيليزيت — أوه يا ميلياندر أنا لم أقل هذا الكلام لتؤنّبك ، فهل فهمته كذلك ؟ أنا لم أعد كما كنت سابقاً ولن أقدم في المستقبل ثانية إلى أحد . أنا لا أعرف ما الذى غيرنى هكذا . ولو أن قائلاً قال لى منذ زمن : إننى سأكون سعيدة بصيرورتى أكثر حزناً أو أننى سأضع شفتى فوق شفتى تلك التى تحبها لما صدقت من ذلك شيئاً ، ومع ذلك فأنا أفعله .

ميلياندر — أنا لا أدري ما الذى تحبّه السماء للرجل الذى تحوطه بمثل هذه الظروف .

سيليزيت — أنا لست إلا شيئاً ضئيلاً ، ولكننى أريد أن أكون خيراً مما أنا الآن ، وأريد أن أكون محبوبة ، وأن يبكى من يحبنى كما تبكى أنت حين تعجب بها .

ميلياندر — عمن تتكلمين ؟

سيليزيت — أنا أتكلم عن التى أنت تفكر فيها بدون شك كلما تكون صامتاً .

ميلياندر — حينما أكون بجانبك فأنما فيها أفكر ، وحينما أكون بجانبها فأنما بك أحلم .

سيليزيت — لقد رأيت جيداً أن الحالة ليست واحدة ، وأن الدموع التى تذرّفها علىّ ليست هي الدموع التى تسكبها عليها ، وأن هذه الأخيرة تجي من أمكنة أبعد من أمكنة الشفقة التى تجي منها الدموع المسكوبة علىّ ، ولأنى أعرف أنها منبعثة عن أسباب غير قابلة للنسيان . وحينما تقول لى : إنك تحبني ، لكي أكون أقل حزناً لن تستطيع أبته أن تقول لى ما تقوله لأجلاّفين .

ميلياندر — أنا لا أدري ما إذا كنت أقول

لك نفس الكلام يا سيليزيت ، لا يقول الانسان ما يريده بالضبط ، وحينما يريد أن يتحدث إلى من يحبه ، فإنه لا يزيد على أنه يجيب عن أسئلة نفسية لا تسممها الأذن ، وهذه الأسئلة النفسية لا تتشابه فيما بينها ، ولذلك تختلف أحاديثنا دون أن نعلل ذلك أو أن نفهمه ، غير أن أسئلتك النفسية المشتملة على براءة الطفولة لا تقل جمالاً عن أسئلة أجلاّفين وإن كان النوعان ليسا من منبع واحد ، ولهذا ينبغي ألا تحزني ، كما ينبغي ألا توجد الفيرة بين الأرواح . هل تعتقدين أنى لا أحدث إليك الآن كما لو كنت أحدث إلى أجلاّفين ؟ وهل تظنين أنه يمكن أن يتحدث أحد إلى أى كائن بشىء آخر غير ما أحدث به إليك ؟ . أوه يا سيليزيتى المسكينة ! لو أن ملكاً نزل من السماء بين ذراعى ليأخذ مكانك لما فتحت له قلبي بنفس البساطة والعمق اللذين أفتح بهما قلبي لك . ولم يبق مما ينبغي أن أقوله لك بعد الذى قلته إلا ما يقال فى هذه الحياة الدنيا . فلننتظر يا سيليزيت فإما أن ترتحل أجلاّفين أولاً ترتحل ، إذ هى وحدها التى تعرف ذلك ، وهى لا تفضل فيما تعمل ، ولكن سواء أمكثت أم ارتحلت ، فإنها عرفت كيف تكشف لى عن كنزك وكيف تعلمنى أن أحبك بطريقة لم أكن أعرف قبل ذلك سلوكها ، وعلى أي حال من الأحوال يا سيليزيت إذا كان هناك أحد ينبغي أن يظل يبكى فليس هو إياك ، وفوق ذلك ، هل تظنين أننا نصير سعيدين لو ارتحلت أنت يا طفلى ؟ وهل تظنين أن سعادة تؤسس على ألم كائن صغير نقي وديع مثلك تكون سعادة طويلة الأجل أو جديرة بنا ؟ وهل تظنين أنى أستطيع أن أقبل أجلاّفين أو أنها تستطيع أن تحبني إذا قبل أحداً هذه

أجلافين — آه .

ميلياندر — إنها احتفظت لنا بحجارة دموعها

أجلافين — أنت ترى جيداً أنها مادامت

لا تتكلم فإن هذه الأشياء الصغيرة ستتكلم نيابة

عنها لتقول لي : إن الوقت قد أزف . دع لي هذا

المنديل ... أيها البرهان الصغير : إن من لا يفهمك

يجب أن يكون ميتاً .

ميلياندر — يناديها محاولاً تقييلها .

أجلافين — لا تقبلني اليوم وأحبها جيداً

يا ميلياندر .

ميلياندر — أنا لا أدري ماذا أعتقد . يحيل

إليّ أحياناً أنني أحبها كما أحبك ، وأحياناً أخرى

أكثر منك ، لأنها أبعد منك عني ، وأكثر

غموضاً أمام فهمي ؛ ثم حيناً أراك ينمحي كل ماحولها

فلا أعود ألمها ، ومع ذلك ، فلو أنني فقدتها إلى

الأبد ، فإني سوف لا أستطيع أن أعانقك بدون

حزن .

أجلافين — أنا أعرف جيداً أنك تحبها ،

ولأجل ذلك ينبغي أن أرتحل .

ميلياندر — أنا لا أحبها إلا فيك ، وإذا

ارتحلت فلن أحبها بعد الآن .

أجلافين — أنا أعرف جيداً أنك تحبها

وأعرف ذلك إلى حد أنني لا أستطيع أن أمتنع

نفسى من أن أشتى أحياناً مثل هذا الحب الذي

تمنحه إياها . ينبغي ألا تظن أنني كاملة من جميع

الوجوه . إذا كانت سيليزيت لم تعد كما كانت في

الماضي فأنا أيضاً قد تغيرت بمقامي بينكم . لقد جئت

إلى هنا ، وأنا أكثر حكمة مما ينبغي أن أكون .

لقد كنت مقتنعة ، بأن الجمال لا ينبغي له أن

السعادة المؤسسة على شقائقك ؟ نحن نتحاب حبا

يفوق شخصيتنا سمواً . ومنذ زمن لم يعد يمكننا أن

نحبك دون أن نراك . تعالى إلي وأعطيني شفيتك .

أنا أقبلك قبلة روحية هذا المساء ياسيليزيت . تعالى

فأنا أظن أن الساعة الثانية عشرة تدق الآن . هلمى

بنا لنرى هل أحلام أجلافين لا تزال تبكي في نومها؟

المنظر الثاني

(يقع هذا المنظر في أحد أجنحة القصر بين أجلافين
وميلياندر اللذين يدخلان فجأة)

أجلافين — هل تسمع صوت هذا الباب الذي

يغلق ؟

ميلياندر — نعم .

أجلافين — إنها سيليزيت وقد سمعنا وأرادت

أن تتركنا وحدنا .

ميلياندر — لقد قالت لي إنها ستصعد فوق

البرج في هذا الصباح ، لأنها علمت أن طائرًا عجيباً

قد وفد إليه .

أجلافين — إنني متأكد أنها كانت هنا ،

وأن كل شيء في الغرفة يلوح عليه أنه ينتظر عودتها .

أنظر هذه الأدوات الصغيرة التي تستعملها في الحياة

والنسج ، فأنها لا تزال موضوعة في النافذة مع

الخيوط الحريرية : الفضية والذهبية ، ومع الأحجار

التي ترصع بها ملابسها .

ميلياندر — وها هو خاتمها الذي كتب عليه

اسمانا ، وها هي بنفسجتها ، وها هو منديلها . قال

ذلك ثم تناول المنديل دهشاً حينما وجده مبللاً .

أجلافين — ماذا حدث ؟

ميلياندر — ماداً إليها المنديل : خذى هذا

المنديل وانظري كيف هو .

أو أفكر فيه ، ولا بما كانت تقوله هي أو تفكر فيه أجلائين - حينما جئت إلى هذا القصر كنت أعتقد أن كل شيء ممكن ، وأن أحداً لن يتألم ، ولكنني اليوم أرى أن الحياة لا تريد أن تخضع لشروعاتنا الجميلة ، وإنني أعرف في نفس الوقت أنني إذا بقيت إلى جانبك وكان هذا البقاء مؤلماً لأحد فإنني لن أكون جديرة بك . وإذا أنت أقررت ذلك ، فلن تكون جديراً بي ولن يكون حيناً إذ ذاك شبيهاً بحيننا الحاضر .

ميلياندر - قد يكون هذا حقاً ، ولكن ألا نكون مصيبين لو أننا فعلنا ذلك ؟

أجلائين - إن الصواب في مثل هذا الموقف شيء نأفه . وإنني أعتقد أنه ينبغي للإنسان أن يظل طول حياته مخطئاً فإن ذلك خير له من أن يبكي المخطئين . أنا أعرف كذلك كل ما ينبغي أن يقال ، ولكن لماذا يقال لنا ذلك مادامنا نعرف جيداً أنه لا يستطيع أن يغير شيئاً من تلك الحقائق العميقة التي لا تصني إلى معسول الكلمات ؟ يجب ألا نستمع إلا إلى ذلك الداعي الذي يدعونا دون أن يؤلف جملاً . إن الذي يقتاد حياتنا بالرغم من أفاظنا وأفعالنا إنما هو بساطة الأشياء ، وإن الإنسان ينخدع دائماً كلما أراد مقاومة البساطة . من يدرى لأي سبب تلاقينا في هذا الوقت المتأخر عن الأوان ؟ ومن يجروء على القول بأن القدر الذي فعل هذا ليس هو منتهى الحكمة الإلهية إننا عاقلان في هذه اللحظة ياميلياندر المسكين إلى حد أن من يسمعنا تتكلم في هذه الآونة لا يتردد في أن يقول : إنهما يتحaban جفاً قاراً ، وإنهما يجهلان الحب الحقيقي جهلاً تاماً ، وما ذلك إلا لأننا قد تحايينا حباً أعلى

ينشغل بالدموع التي تذرف بسببه ، وقد كنت أظن أن الخيرية لا مرشد لها إلا الحكمة ، ولكنني الآن أعترف أن الخيرية لا ينبغي أن تكون حكيمة دائماً وأن الأفضل لها أن تكون إنسانية ومجنونة . لقد كنت أعتقد أنني أجمل النساء . والآن أنا أعترف أن أصغر الكائنات قد تساويني في الجمال ، وإن كانت لا تعرف ذلك . أنا حين أنظر إلى سيليزيت أسائل نفسي في كل لحظة : أليس كل ما تتخبط فيه روحها البريئة أعظم وأطهر ألف مرة من جميع ما يمكن أن أفعله أنا ؟ إنها جميلة إلى درجة تعجز كل تعبير ؛ وليس عليها لا اكتشاف جمالها إلا أن تنحني قليلاً ، فأنها إن فعلت وجدت في قلبها كنزاً عظيماً ، فإذا عثرت على هذا الكنز ، أفاضته على من يحوطونها دون علم منها كأنها عمياء صغيرة تملأ يديها بالجواهر ثم توزعها وهي لا تدري ماذا توزع .

ميلياندر - إن هذا الأمر عجيب . حينما تتحدثين إلي عنها فأنا أنت وحدك التي أعجب بها والتي أحبها أكثر من ذي قبل ، وأنه لا يستطيع شيء في العالم أن يحول بينك وبين الإتيان بجميع هذه المحامد التي أفضتها عليها ولو أن إلهاً تدخل في الأمر لما استطعت أن أحبها كما أحبك .

أجلائين - إن هذا هو ظلم الحب . فلو أنك أثبتت على أخيك ، لعرفت أنك الذي صرت أكثر جمالاً . إنني أريد أن أعانقك وأن أبكي ياميلياندر . إنه من المستحيل إذاً أن يسلو المحبان عن حبهما ميلياندر - أنا أظن أن ذلك مستحيل . وقد رأيت هذا بنفسى آنفاً حينما كنت أتحدث إلى سيليزيت ، لأنني حينما كنت أتحدث إليها كنت أشعر أن الحب لا يريد أن يتصل بما كنت أقوله

يَحْتَمِلُهُ غَيْرُهُمْ . إِنَّهُ لَا تَوْجَدُ عَلَى مِثْلِ عَوَاطِفِنَا هَذِهِ
مِكَافَأَةً ، وَإِنَّا نَحْنُ أَيْضًا لَا نَنْتَظِرُ مِكَافَأَةً .

المنظر الثالث

(يَقَعُ هَذَا الْمَنْظَرُ فِي أَسْفَلِ أَحَدِ الْأَبْرَاجِ الْقَدِيمَةِ الْعَالِيَةِ
بَيْنَ أَجْلَافِينَ وَمِيلِيَانْدَرِ)

أَجْلَافِينَ — لَقَدْ رَأَيْتُهَا هَذَا الصَّبَاحَ فَوْقَ الْبَرَجِ
وَحَوْلَهَا عِدَدٌ مِنَ الطُّيُورِ الْبَحْرِيَّةِ تَصِيحُ بِأَصْوَاتٍ
عَالِيَةٍ . إِنَّهَا تَصْعَدُ فَوْقَ هَذَا الْبَرَجِ بَدُونِ انْقِطَاعٍ
مَنْذُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَلَا أُدْرِي مَا هُوَ الْأَثَرُ الَّذِي
يُحْدِثُهُ ذَلِكَ الْعَمَلُ فِي نَفْسِي . إِنَّهَا تَظْهَرُ فِي نَفْسِ
الْوَقْتِ أَكْثَرَ قَلَقًا وَأَقْلَ حُزْنًا ، وَكَأَنَّمَا هُنَاكَ شَيْءٌ
يُجْهَزُ فِي دَاخِلِ هَذَا الْقَلْبِ الصَّغِيرِ الْعَمِيقِ .

مِيلِيَانْدَرِ — يُخَيِّلُ إِلَيَّ أَنَّهَا أَخَذَتْ تَبَسُّمًا مِنْ
جَدِيدٍ لِحَيَاتِهَا الْقَدِيمَةِ الشَّبِيهِةِ بِحَيَاةِ الطُّفُولَةِ الَّتِي كَانَتْ
تَحْيَاهَا قَبْلَ حُضُورِكَ إِلَيَّ هُنَا . أَلَمْ تَلْحَظْ أَنَّهَا أَخَذَتْ
تَفَنَّى وَتَتَنَمَّشُ ؟ إِنَّهَا تَسِيرُ أَمَامَنَا كَمَا لَوْ كَانَ هُنَاكَ نُورٌ
غَيْرٌ مُنْتَظَرٌ يَضِيُّ لَهَا الطَّرِيقَ . أَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَتْرَكَ
الْحَدِيثَ الْآنَ فِي أَمْرِ رَحِيلِكَ ، إِلَى أَنْ تَسْتَرُدَّ هَدُوءَهَا
وَأَنْ يَثْبُتَ فِي نَفْسِهَا هَذَا التَّطَوُّرُ الْجَدِيدُ ؟ .

أَجْلَافِينَ — لَا ، أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَعْلَنَ لَهَا رَحِيلَ
الْيَوْمِ .

مِيلِيَانْدَرِ — وَلَكِنْ كَيْفَ سَتَعْلَنُ لَهَا ذَلِكَ
وَأَلَا تَحْشَى أَنْ هَذِهِ الطُّفُولَةُ الَّتِي اقْتَرَبَتْ كَثِيرًا مِنْ
قَلْبِنَا وَالَّتِي لَمْ تَعُدْ تَحْيَا إِلَّا فِيكَ — تَتَأَلَّمُ مِنْ رَحِيلِكَ
كَمَا تَتَأَلَّمُ أَنْتَ لَوْ أَنَّكَ رَأَيْتَ كَأَنَّكَ أَسْمَى مِنْكَ يَضْحَى
بِحُظَّتِهِ فِي الْحَيَاةِ فِي سَبِيلِ حُظِّكَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى مِنْهُ ؟
أَجْلَافِينَ — لَيْسَ لَنَا الْحَقُّ فِي أَنْ نَزِنَ أَوْ نَقْدِرَ
حُظُوظَ الْآخَرِينَ ، وَلَكِنِّي أَيْضًا فَكَّرْتُ فِيمَا يَنْبَغِي
أَنْ أَقُولَهُ لَهَا . فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فَكَّرْتُ فِي أَنْ أَكْذِبَ

مَنْ أَنْ يَفْكَرَ فِيهِ الْمَحْبُودُ الْعَادِيُونَ .
مِيلِيَانْدَرِ — إِنِّي أَحْبَبْتُ يَا أَجْلَافِينَ ، وَإِنْ
الْحُبُّ الَّذِي مِنْ هَذَا النَّوعِ هُوَ أَرْقَى أَنْوَاعِ الْحُبِّ
أَجْلَافِينَ — إِنِّي أَحْبَبْتُ يَا مِيلِيَانْدَرِي ، وَإِنْ
هَذَا الْحُبُّ يَعُدُّ الْخَالَدَ حَقًّا .

مِيلِيَانْدَرِ — وَالْآنَ قَدْ فَكَّرْتُ فِيمَا سَتَكُونُ
عَلَيْهِ حَيَاتُنَا حِينَمَا يَفْتَرِقُ كُلُّ مَنَا عَنِ الْآخَرِ وَلَا يَبْقَى
لَنَا مِنْ هَذَا الْحُبِّ إِلَّا تَذْكَارٌ صَغِيرٌ يَظَلُّ يَضُؤُّ مَعَ
الزَّمَنِ شَأْنُ كُلِّ الذِّكْرِيَّاتِ الَّتِي تَعْفِيهَا الْأَيَّامُ . مَاذَا
سَأَعْمَلُ أَنَا هُنَا ؟ وَمَاذَا سَتَعْمَلِينَ أَنْتَ هُنَاكَ فِي الْعَامِ
الْمُقْبِلِ ؟ لَأَشْكُ أَنْتَ سَتَنْتَمِبُ الْأَيَّامَ وَالشُّهُورَ بَعْدَ أَذْرَعَتِنَا
فِي الْفَرَاغِ عِشًا وَيَدُونُ فَائِدَةً . مِنْ الْمَوْسُفِ أَنِّي
لَا أُرِيدُ أَنْ أَبْكِيَ مَعَ أَنْ أَقْلَ تَفْكِيرٍ فِي حَالَتِنَا هَذِهِ
يَدْعُونَا إِلَى أَنْ تَتَعَاقَبَ حَتَّى تَنْفَطِرَ قُلُوبُنَا . عِشًا
نَحَاوِلُ أَنْ نَقْنَعُ أَنْفُسَنَا بِأَنْ حَبْنَا سَيَظَلُّ كَمَا هُوَ رَغْمِ
السَّيْنِ وَالْعَاقِبَاتِ وَالْبَحَارِ الَّتِي سَتَفْصِلُ بَيْنَنَا . إِنَّهُ
يُوجَدُ فِي حَيَاتِنَا كَثِيرٌ مِنَ الْأَوْقَاتِ الَّتِي لَا تَسْتَطِيعُ
فِيهَا أَحَدُ الذِّكْرِيَّاتِ أَنْ تَعْزِيَ الْمَحْبِينَ عَنِ الْفِرَاقِ
الطَّوِيلِ الْمَدَى .

أَجْلَافِينَ — أَنَا أَعْرِفُ جَيِّدًا أَنَّ الْقَوْلَ بِأَنْ
الْحُبَّ مَعَ الْفِرَاقِ يَظَلُّ كَمَا هُوَ لَا يَعْزِي إِلَّا لَفْظِيًّا فَحَسْبُ ،
إِذَا بَقِينَا مَعًا فَسَعَادَتُنَا سَتَكُونُ أَمْرًا مُمْكِنًا ، وَإِذَا
افْتَرَقْنَا فَشَقَاؤُنَا سَيَكُونُ شَيْئًا مُحَقَّقًا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَنَحْنُ
الْاِثْنَانِ نَشْعُرُ أَنَّ مَا سَأَعْمَلُهُ أَنَا ، وَهُوَ الرِّحِيلُ فَهُوَ
مَا يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلَ ، سَتَبْكِي مِنْهُ وَقْتًُا طَوِيلًا ، وَأَنَا
سَأَبْكِي إِلَّا الْأَبَدَ ، لِأَنَّهُ لَا يَكْفِي الْمَرءَ أَنْ يَفْكَرَ فِي
أَنَّهُ قَامَ بِعَمَلٍ نَبِيلٍ لِكِي يَحُولَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَبَيْنَ سَكَبِ
الدَّمْعِ ، وَمَعَ ذَلِكَ ، فَيَنْبَغِي لِأُولَئِكَ الَّذِينَ اسْتَطَاعُوا
أَنْ يَحْبُوا مَا لَمْ يَسْتَطِعْ غَيْرُهُمْ حُبَّهُ أَنْ يَحْتَمِلُوا مَا لَا

سيليزيت — إن ذلك لمو منشأ عذابي ، فأنا
أشتهي أن أحيط أحداً بها علماً ، لأنني لا أعرف
شيئاً وحدي ، ولكنني إذا أخبرت بها أحداً
صارت أقل جمالا من ذي قبل .

أجلافين — أنا لا أدري ما عسى أن تكون
هذه الفكرة ، ولكن يخيّل إلى أن أية فكرة تريد
جمالا كلما زاد الإعجاب بها .

سيليزيت — وما هي ذي سيليزيت الصغيرة
أيضاً لديها سر تعرف كيف تحتفظ به ، ولكن
ما ذا كنت تعملين في مثل موقعي هذا لو أنك كنت
سيليزيت الصغيرة ثم رأيت أجلافين الأكثر منك
جمالا تقبل زواجك ؟

أجلافين — أنا أعتقد أنني في مثل هذا
الموقف كنت أحاول أن أكون سعيدة كما لو
أن أحداً حمل إلى منزلي نوراً جديداً ؛ وكنت أجهّد
في أن أحب تلك السيدة كما تحبيني الآن يا سيليزيت
سيليزيت — أما كنت تصيرين غيرة ؟

أجلافين — أنا لا أدري فقد يكون من الممكن
أن تمرّ بي لحظات أحس فيها بالغيرة ، ولكن لو
وقع لي شيء ، من ذلك لما تعدى أعماق نفسي
ولا جتهدت في أن أكون سعيدة .

سيليزيت — لقد أوشكت أن أكون سعيدة
يا أجلافين .

أجلافين — لا ينبغي أن تشعرين دقيقة واحدة
بعد الآن أنك شقية يا سيليزيت .

سيليزيت — لو أنني كنت متأكدة من أن
فكرتي حسنة لأصبحت في متعوى السعادة .

أجلافين — لماذا لا تكون فكرة حسنة
ما دامت ستصيرك سعيدة ؟ .

عليها حتى لا تتألم . لا تنتم يا ميلاندر . حقاً إنني
لست امرأة عادية ، ولهذا أنت تتصور أنني لا
أكذب ، ولكنك تغالي في هذا ، فأنا أملك فن
الكذب وأعرف بجميع أخواتي النساء كيف
أكذب كلما أعلن الحب أن الكذب أمر ضروري ،
لقد كان في نيتي أن أقول لها : إنني لم أعد أحبك
وإنني كنت مخدوعة فيك ، وإنك أنت أيضاً لم تعد
تحبني إلى غير ذلك مما يتقصى في عينيها ، ويجعلني
غير قيمة باحترامها ، وبالتالي يبدد أسفها على ؛ أردت
كل هذا ، ولكنني شعرت أمام عينيها الواسعتين
الظاهرين أنه من المستحيل على أن أقول لها ذلك
مادام يخالف الحقيقة : استمع : إنني أسمعها تنفي وهي
نازلة على سلم البرج . انصرف أنت ودعني أتحدث
إليها وحدي ، لأنها تقول لي ما لا تستطيع أن تقوله
لك ؛ ثم إن الحقيقة لا تنزل من سماءها أجل ما تكون
إلا حين تستطيع أن تأخذ مكانها بين كائنين اثنين .

(يخرج ميلاندر ويسمع صوت سيليزيت وهي تقرب من
أجلافين شيئاً فنيثاً مترنقة بألشودة حزينة ينتهي آخر مقطع
منها بهذه الكلمة : إنني أرى الموت لا يزال ينتظر !)

أجلافين — أوه يا سيليزيت ما أوسع عينيك ؛
وما أكثر نورها في هذا الصباح .

سيليزيت — هذا لأن لدي اليوم فكرة جميلة
يا أجلافين .

أجلافين — ينبغي بها يا سيليزيت ، لأن الإنسان
لا ينبغي له أن يخفي الفكرة الجميلة التي تسعد الناس
جميعاً .

سيليزيت — لا أستطيع حتى الآن أن أثبتك بها
أجلافين — حدثيني عنها مع ذلك فقد أستطيع
أن أساعدك في تنفيذها .

سيليزيت — إن من الصعب على أن أعرف ذلك ، وإننى وحيدة .

أجلافين — ولكن لماذا لا تتحدثين بها إلى وأنا واثقة من أننى أستطيع مساعدتك .

سيليزيت — نعم نعم أنت ستساعدينى ولكننى أريد أن تفعل ذلك دون أن تعرفيه .

أجلافين — أنت إذا تريدين أن تخفى عنى شيئاً سيليزيت — سأخفى عنك شيئاً ، ولكننى أخفيه ، لكى أظهره عند ما يصير جد جميل .

أجلافين — متى سيصير ذلك الشئ ، جيلاً ؟ سيليزيت — عند ما سأعرف ، عند ما سأعرف

ستجائني أنما الاثنان جاً أقوى من حبكما الحاضر أجلافين — وهل يمكن الانسان أن يحب

أكثر من هذا الحب يا سيليزيت ؟ سيليزيت — كم أنا أشتهى أن أعرف ما ذا كنت

ستميلين لو أنك فى موقفى ؟! أجلافين — إننى مستعدة لأن أقول لك ذلك

سيليزيت — أما أنا ، فلو أنى قلت لك ما سأفعله لما كانت حالتك بعد القول مماثلة لحالتك قبله ولأيت

أن تنبئنى بالحقيقة . أجلافين — ألم أقل الحق دائماً ؟

سيليزيت — بلى ، أنا أعرف جيداً أنك تقولين الحق ، ولكنك فى هذا الموقف كنت لا تستطيعين

أن تقولى الحق . أجلافين — أنت مجيبة فى هذا الصباح ،

ويجب أن تحذرى من أن تكونى مخدوعة . سيليزيت — لا ، لا ، تعالى أقبلك يا أجلافين ،

إذ بقدر ما أقبلك أكون واثقة من أنى لا أخدع أجلافين — عندى ما سأقوله لك .

سيليزيت — ماهو إذا ؟ كأنك أنت أيضاً لا تجرئين أن تقولى لي ما عندك ، أيمكن أن يكون

مماثلاً لما عندى ؟ أجلافين — وما هو الذى عندك ؟

سيليزيت — لاشئ ، لاشئ ، أنا أثرثر ، ولكن قولى حالا : ما الذى عندك ؟

أجلافين — إن ذلك يحزنك ، ومع ذلك فقد كان ينبغي أن يسعدك .

سيليزيت — أنا لن أبكى بعد الآن أبداً ، بعد الآن يا أجلافين .

أجلافين — ماهذا ؟ إنك تقولين ذلك الكلام وعلى وجهك مسحة يخليل إلى أنها غريبة .

سيليزيت — لكن لا ، لكن لا . أنا لن أبكى بعد الآن ، وهذا هو كل شئ . أليس ذلك طبيعياً ؟

أجلافين — دعيني أنظر فى عينيك . سيليزيت — انظرى انظرى ؟ ماذا ترين ؟

أجلافين — عبثاً أكد الناس أن أرواحنا تظهر من خلال أعيننا ، إذ الحقيقة هى أنه كلما نظر

أحد إلى العينين خيل إليه أن الروح تفر من أمام نظراته ، وحينما أغمس نظراتى فى ماء عينيك التقى

يخليل إلي أن هاتين العينين هما اللتان تسألاننى قائلتين : ماذا تقرئين فينا بدل أن تجابوا على سؤال

لا أستطيع أن أوجهه إليهما . سيليزيت — ماذا عندك فتنبئنى به ؟ .

أجلافين — تعالى بين ذراعى ياسيليزيتى الصغيرة التى كدت أحرمها من أعز ما لديها .

سيليزيت — أأنت حزينة يا أجلافين ؟ أجلافين — لا ، لا ، أنا لست حزينة ، لأنك ستكونين سعيدة .

سيليزيت — إن في عيتيك قطرات من الدموع
أريد أن أجففها .

أجلافين — لا تنسغلي بهذا ، وأنت إذا بكيت
فسأتولى تجفيف دموعك قبل أن أنسغل بدموعي .
والآن لنجلس هنا على عتبة البرج كما جلسنا في ذلك
المساء الذي تحدثنا فيه للمرة الأولى . أتذكرين المساء
الذي كنا فيه على حافة خزان المياه ؟ لقد مضى على
ذلك أكثر من شهر وجدت أثناءه أشياء وانعدمت
أشياء وأصبحت أرواحنا أبعد نظراً من ذي قبل .
أعطيتني شفيتك ياسيليزيت فلن نفوز بلحظات
أخرى تشبه هذه اللحظة ، لأنني سأرحل غداً ،
وكل مانعمله في اللحظة الأخيرة يظهر أمام قلبينا
البائسين أكثر جدية وعمقاً من كل ما حدث أولاً .
سيليزيت — أستر تحلين غداً ؟ .

أجلافين — نعم غداً ياسيليزيت ، وهذا
ما كنت أريد أن أقوله لك . لقد أردت في أول
الأمر أن أخفي عنك ذلك وأن أ كذب عليك
لكي أؤخر ألك بعض الشيء ، ولكني أراك جميلة
وأحبك حباً عالياً يستطيع ألا يحول بينك وبين
ألم يقربك منا . وفوق ذلك ، فإذا عاش أشخاص
ثلاثة أشهر تحت ظلال الحقيقة كما عشنا تبدلت
حافهم وأصبح الجو الذي يعيشون تحته غير قابل
لكل ما يخالف الحقيقة ، ولأجل هذا أنا أعلن لك
أنني سأرحل غداً ، لكي تصيري سميدة ، وإنني
أقول لك هذا الآن لتعلمي أنني أتألم كثيراً من
ارتحالي على هذه الصورة فتألمي بدورك ، وهذا
الألم هو نصيبك من التضحية ، لأن كلاً منا نحن
الثلاثة يضحي بنصيب في سبيل شيء لا يعرف اسمه ،
ولكنه فوق قوته . ولكن أليس غريباً ياسيليزيت

أنني أحبك وأحب ميلياندر ، وميلياندر يحبني ويحبك
أنت أيضاً ، وأنت تحبيننا نحن الاثنين ، ومع ذلك
فلا نستطيع أن نحيا سعداء ، لأن الساعة التي
يستطيع فيها بنو الإنسان أن يحيا هذه الحياة لم
تحن بعد . والآن أنا أرحل راجية إياك أن تقبل
هذا الرحيل بمثل القلب الذي أنا أقدمه به . فإذا
قبت ذلك ياسيليزيت فانك ستعملين عملاً لا يقل
جمالاً عما أعمله وتضحين تضحية قد تكون أكبر
من تضحيتي مادام من المفهوم أن الشخص انخاص
هو أكثر سعادة من الشخص انقدم إليه هذا
الاخلاص . ألا يخيل إليك عند ما تاتي كل منا
بنفسها بين ذراعي الأخرى ، وعند ما تنغمس في وسط
الحقيقة البسيطة — أننا نلمس شيئاً أعظم منا ؟ .

سيليزيت — لا ترحلي غداً

أجلافين — لماذا لا ينبغي أن أرحل غداً مادام
الرحيل واجباً ؟

سيليزيت — أنا أسألك ألا ترحلي قبل أن أقول
لك ما وعدتك به

أجلافين — وهل ستقولين ذلك عما قريب ؟
سيليزيت — نعم الآن قد صرت متأكدة من
ذلك . وهل ميلياندر يعرف ما اعترفته ؟

أجلافين — نعم

سيليزيت — أنا لم أعد حزينة يا أجلافين

أجلافين — ماذا كنت تعملين لو أنني ارتحلت
دون أن أنبئك بشيء ؟

سيليزيت — كنت ألحق بك وأعيدك إلى
هنا ثانية

أجلافين — وإذا كنت لم تجدني ؟

سيليزيت — كنت أبحث عنك طول حياتي

تكونى مثلى جاهلة ثم عرفت بعد ذلك . أنا لا أدري
لماذا أنا أشتى أن أرحل أو أموت لأجلكما .
أنا سعيدة وأريد أن أموت لأكون أكثر سعادة
أجلائين - إنه من الخطر أن يفكر الانسان
في الموت عندما يكون سعيداً . هل ينبى لى أن
أعترف بما هو فى نفسى ؟ إن الخوف قد اعترانى
مرة ، إذ تخيلت أن الفكرة التى تتحدثين عنها هى ..

سيليزيت - نعم

أجلائين - لقد خشيت أن تكون هذه
الفكرة

سيليزيت - لا تخافى يا أجلائين فلن تكون
هذه الفكرة إلا فكرة فتاة صغيرة

أجلائين - نعم لو وجدت لكنت فكرة قلب
صغير أعمى لا يستطيع أن يبرهن على الحب إلا بالموت .
ينبنى على العكس أن يعيش الانسان إذا كان يحب ،
إذ بقدر ما يحب يجب أن يحيا ؛ ثم أنا أعرف جيداً
أنك تحبيننا كثيراً حتى تفعل بنفسك هذه الفعلة .
وحيثما يفكر الانسان تفكيراً صحيحاً ، يتضح له أنه
لا يوجد لحاب الشقاء ، لكائنين طريقة أقسى من إيجاد
موت بري بينهما

سيليزيت - هل تريدان أن أعترف لك أنا
أيضاً بشئ ؟ يا أجلائين ؟

أجلائين - ينبى أن تعترفى بكل شئ كما
اعترفت لك بكل ما عندى ياسيليزيت الصغيرة . إنه
لا يوجد بين السكائنين المؤلفين شئ أجمل من ألا
ينخفى كل عن صاحبه أية فكرة ولو خلف زهرة .

سيليزيت - لقد فكرت فى ذلك حيناً .

أجلائين - أفكرت فى الموت ؟

سيليزيت - نعم فكرت فى ذلك منذ وقت

أجلائين - أنا أخشى أنك ترتحلين قبلى ،
وأن تكون هذه الفكرة هى التى كنت تتحدثين
عنها آنفاً

سيليزيت - كانت تكون فكرة سيئة ، أما
الآن فلدى فكرة سعيدة

أجلائين - لكن الآن سوف لا ترتحلين

سيليزيت - لا لا يا أجلائينى ، أنا لن أغادر

هذا القصر

أجلائين - أمن أعماق نفسك تعدينى بهذا ؟

سيليزيت - إنه من أعماق نفسى وأقسم لك

عليه بسعادتى الأبدية يا أجلائين

أجلائين - أنا لا أدري ما إذا كان الأفضل

هو عدم مجيئى من أول الأمر إلى هذا القصر

سيليزيت - لو أنك لم تجيئى إلى هنا لما كنت

أنا شقية ولا سعيدة ، بل لما كنت شيئاً مطلقاً

أجلائين - من يدري إذا كان إيقاظ النائمين

من الأمور المسموح بها لاسيما إذا كان نومهم طاهراً

ولديداً ؟

سيليزيت - ينبى أن يكون ذلك مسموحاً به

ما دام أولئك النائمون لم يعودوا يرغبون فى النوم .

قبل أن تجيئى إلينا كنت أقبل ميلياندر كأنى عمياء

صغيرة وكنت لا أعرف أننى كذلك . ولكن هل

من جريمتى أن أكون صغيرة ؟ أما الآن فأنا فى حالة

أخرى ، إنه كان نائماً هذه الليلة بينما كنت ساهرة

أنظر إليه وكنت أقبله دون أن يستيقظ ، وفى نفس

الوقت كنت أنظر إلى النجوم من خلال النوافذ

ترصع صفحة السماء الزرقاء كأنها قد أرادت أن تتخذ

لها من روحى سماء تسطع فيها . أوه يا أجلائين أنت

لا تعرفين ذلك لأنك لم تمرى بهذه الظروف إذ لم

أن أحداً يصير إليها ، وقد شعرت بأن حياتي تأتية حول شفتي تحاول الخروج بلا عودة ، وهذه هي المرة الأولى التي أحسست فيها بطعم الحياة والموت معاً في في . لقد فتحت النافذة وصحت بك وقتاً طويلاً لأحذرك ، ولكنتك لم تفهمي أو لم تسمي . لا ينبغي أن نحوي حول الحظ السيء الخطر . ماذا كنت تعملين فوق البرج ؟ هاهي ذي المرة الثالثة التي أراك فيها هناك . تخيل إلى أنك كنت تحركين الأحجار بيدك . ماذا كان هناك ؟ إنه كان يلوح عليك أنك تبحثين في الفراغ عن شيء مفقود

سيليزيت — كنت أبحث في الواقع عن شيء . ولكن لا تترامى فليس هناك ما يدعو إلى الخوف . البرج العتيق متين وسيظل شامخاً وقتاً طويلاً بعد موتنا جميعاً . لماذا نحقق عليه ؟ إنه إلى الآن لم يسيء إلى أحد . أنا أعرف أكثر من غيري أن أحجار البرج لا تتحرك ، وأنت مادمت لم تريه فلا تعرفين ما يقع بعيداً عنك . لقد وصل إلينا منذ خمسة أو ستة أيام طائر مجهول ، وهو لا يزال يطير حول البرج دون أن يحس بالثعب ، له جناحان أخضران خضرة غريبة مشربة بصفرة لا يمكن شرحها ؛ ثم إن في هذا الطائر شيئاً أكثر غموضاً من الأول وهو أنه يكبر في كل يوم ، وأن أحداً لم يستطع أن يقول لي من أي الجهات هو يجيء . أنا أعتقد أنه عيش في جحر من الحائط عند نفس المكان الذي رأيته منحنية عليه .

أجلافين — هل ذلك المفتاح الكبير المذهب الذي تعبثين به هو مفتاح البرج ؟ وهل تتكلمين بأعطاني إياه ؟

سيليزيت — أعطيك إياه ؟ وما تصنعين به ؟

مضى ، ولكنني عدت فقلت في نفسي ماتقولينه أنت الآن ، وبناء على ذلك وجدت شيئاً آخر .

أجلافين — وماذا وجدت ؟

سيليزيت — إنه شيء آخر تماماً وإياه في جانب الحياة ، غير أن الساعة الملائمة لا يضاعه لك لم تجيء بعد ، وسترين أنا أقبلك أنا لأدري ماذا عندي ؟ كأن روعي — كما قيل — ثملة في جسمي ؛ ثم إنى عرفت أخيراً ماذا كنت تعملين لو كنت في موقعي . (فالتا هذا وخرجتا متعاقبتين)

الفصل الرابع المنظر الأول

(يقع هذا المنظر في طيف من أصناف أحد أجنحة القصر المطلة على البحر بين أجلافين وسيليزيت)

أجلافين — الشمس تشرق على البحر ، هل ترين ذلك السرور الهادي العميق الذي يفيض على الأمواج ؟ إن هذا اليوم سيكون من أجمل الأيام يا سيليزيت ، وأنت أيضاً ما أجلك الآن ! بل إن جمالك ليتضاعف مع إشراق فجر كل يوم . ألا تقولين لي ما الذي جعلك تتطورين هكذا حتى آخذ بنصيب مني قبل أن أرتحل ؟ أهى روحك الثملة بالطهر والبراءة ؟ أو هل دعوت إلها لا أعرفه ؟ أو هل هو شيء لأعهد لك به ؟

سيليزيت — نعم أنا أعتقد أنني أحب أكثر من ذي قبل .

أجلافين — لقد جئت لقابلك لأنني رأيته من نافذة غرفتي . ولقد روعني إذ ذاك منظره وأنت منحنية فوق الحائط الآيل للسقوط من البرج حتى ظننت أنني أرى أحجاره تضطرب فامتقع لوني وتجمد الدم في أعضائي إلى درجة لم أكن أتصور

الذى كان يظن أنه فقد وسنصعد إلى أعلى البرج دون أن يعلم بصعودنا أحد، وسأمسك الطائر الأخضر

إيسالين — وهل ستعطينى إياه حالا؟

سيليزيت — سأعطيك إياه إذا لم تحدثى أحداً عن صعودنا. احذرى فسأوقظ جدتنا. هل تلوح على ملامح الشقاء يا إيسالين؟

إيسالين — ماذا ينبغي أن أقوله لكي تصيري سعيدة يا أختي؟

سيليزيت — يجب عليك أن تبينى بالحقيقة،

إذ ينبغي ألا تتصور الجدة أنني شقية. إنه أحياناً حينما يكون الانسان سعيداً يخدع الناس ويظنون أنه

كان يسكى. ألا يرى على وجهى أنني كنت أبكى؟

إيسالين — انتظري حتى أراك بدقة يا أختي،

سيليزيت — ألا يرى على شىء؟

إيسالين — إنحنى قليلاً يا أختي، لأنه لا يعرف

بالضبط متى تبكين، إذ أنت تبكين دائماً بكاء صامتاً

سيليزيت — لكن أنا لم أبك مطلقاً. أعتقد

أنه قد دخل فى عيني رماد أو شىء غير مرئى، فإذا

سألك فى المستقبل سائل عنى وقال لك: ماذا فعلت؟

وماذا قلت؟ وهل كانت ممتعة أو حزينة؟ فلا تجاوبى

باندفاع على هذه الأسئلة عند ما ترين الذين يحوطونك

مروعين أو ممتعين أو محزونين، ولكن ينبغي أن

تلاحظى أنني كنت دائماً مسرورة، لأن ذلك شىء

واضح، فأنا أبتسم على ممر اللحظات! وإذا كان الأمر

كذلك فلا ينبغي أن تخفى الحقيقة. وآلآن: لكن

عاقبتين، فأنا سأقرب من الجدة. آه كم تلوح على

وجهها أمارات الوحدة والمهجران!

(ثم تنادىها مقبلة إياها: جدتى، أنا التى أناديك

يا جدتى كم هي مستغرقة فى نوم عميق! جدتى:

إننى جئت لأودعك)

أجلافين — أريد أن أحفظه معي إلى ساعة الرحيل.

سيليزيت — ولماذا هذا يا أجلافين؟

أجلافين — لأعرف ذلك بالضبط. لاتصعدي

إلى قمة البرج إلا بعد رحيلي ولا تنشغلي بعد الآن

بالطائر ذى الجناحين الأخضرين، إذ قد رأيت رؤيا

مزعجة مر فيها ذكر هذا الطائر

سيليزيت — ها هو ذا المفتاح. أنا لا ألتصك به

لأنه ثقيل.

أجلافين — إنه لثقيل فى الواقع.

سيليزيت — قبلنى فقد آلتك.

أجلافين — لا، إلى هنا أنت لم تؤلى أحداً.

إن عينيك مغروقتان بالدموع.

سيليزيت — إن ذلك جاءنى من تحدبى إلى

الشمس أثناء كنت أقبلك. أنا أريد أن أرى ميلياندر.

قال لي: إنه سيستيقظ مبكراً. إلى اللقاء يا أجلافين.

أجلافين — يبطء: إلى اللقاء يا سيليزيت.

(على أثر ابتعاد سيليزيت وقفت أجلافين وحدها وتأملت

فى المتاح لحظة ثم قذفت به إلى البحر وخرجت من الطنف

بدورها.)

المنظر الثانى

(يقع هذا المنظر فى أحد أجنحة القصر حيث ترى

«ميليجران» الجدة العجوزة نائمة وتشاهد سيليزيت وأختها

«إيسالين» تدخلان عليها.)

يقع هذا المنظر فى أحد أجنحة القصر حيث

ترى «ميليجران» الجدة العجوزة نائمة وتشاهد

سيليزيت وأختها «إيسالين» تدخلان عليها.

سيليزيت — سنبداً قبل كل شىء، بمناقشة جدتنا

التي سوف لا يمانعها أحد بعد رحيلنا، ومع ذلك

فهي فى حاجة إلى العناق مثل غيرها، ولكن لاتقولى

شيئاً. قد أخذت أجلافين مفتاح البرج، لأنها

كانت تخشى من تركه معى، ولكنى سأجد المفتاح

الذي ينبعث دائماً من الغابة قد أضفى كأنه ينبعث من
ظلال حطب تلهمه النار ، وأن الشمس تلوح عليها
ملامح أسد مزعج يريد أن يلتهم السماء . قبلني
يا سيليزيت ، لأن قبلاتك هي كل ما بقى لنا من ندى
الفجر الرطيب .

سيليزيت — لا ، ليس عندي وقت ، لأن ورائي
من ينتظرنى الآن وستقبلنى هذا المساء .

ميلياندر — ماذا عندك يا سيليزيت ؟

سيليزيت — آه هوشىء بسيط وسيمر سريعاً .

ميلياندر — ماذا تقولين ؟

سيليزيت — لا شىء . قبلنى سريعاً .

(قالت هذا وقبلته بعنف)

ميلياندر — لقد جرحت فى شفتى .

سيليزيت — ماذا ؟

ميلياندر — الدم يقطر من شفتى قليلاً . أستاذك

الصغيرة الجميلة جرحتنى جرحاً بسيطاً يا سيليزيت .

سيليزيت — أوه إننى لدببة صغيرة . أأنت

متألم يا ميلياندر ؟

ميلياندر — بالعكس . لا شىء . انتهى كل شىء

سيليزيت — أوه ، إننى لدببة صغيرة . . . كم

الساعة ؟

ميلياندر — إنها تقترب من الظهر .

سيليزيت — الظهر ؟ أوه ليس عندي وقت .

إنهم ينتظروننى . وداعاً يا ميلياندرى .

ميلياندر — سيليزيت ، سيليزيت أين تذهبين ؟

(ولكن سيليزيت تبعد بسرعة وهى تنفى بذلك

الأسوددة الحريفة التى مررت بك آنفاً بينما ميلياندر ينظر إليها

وهى مبتعدة ثم يخرج بدوره)

(البقية فى العدد القادم)

محمد غمرب

ميليجران — أوه هو أنت يا سيليزيت ؟

سيليزيت — نعم يا جدتى . أنا جئت أقبلك مع

إيسالين الصغيرة قبل أن نذهب للنزهة فى الأرياف

ميليجران — أين تذهبان ؟

سيليزيت — لم أعرف بعد . ولكننا نريد أن

نذهب إلى أبعد من المعتاد ، ولنى نعود قبل المساء .

أعندك كل ما يلزمك يا جدتى ؟ إن أجلايين ستعنى

بك بدلى . أتريدى أن أنظم المساند قبل أن أخرج ؟

إنه لا يوجد أحديهم كيف يرفعك^(١) دون أن يؤلك

إلا أنا وحدى ، ولكن أجلايين ستتعلم ذلك على

ممر الأيام . إنها لخيرة وستتعلم ذلك حالاً إذا مكنتها

منه ، أتريدى أن أدعوها لك الآن ؟

ميليجران — لا لا ، أنا سأنام إلى أن تعودى .

سيليزيت — وداعاً يا جدتى وداعاً .

ميليجران — إلى اللقاء يا سيليزيت وعودى

قبل أن يدخل الليل .

(تخرج سيليزيت قابضة على إيسالين الصغيرة)

المنظر الثالث

(يحدث هذا المنظر فى أحد دهاليز القصر حيث يلتقى

ميلياندر سيليزيت وأختها)

ميلياندر — أين تذهبين بسرعة إلى هذا الحد

يا سيليزيت ؟

سيليزيت — لا أذهب إلى مكان معين يا ميلياندر

وإنما نبحث عن مأوى من الشمس .

ميلياندر — حقاً تخيل إلينا أن الأحجار اليوم

تنصهر فى بواتق الحوائط من قوة الشمس ، وأن

البحر قد صار بحيرة من النار ، وأن الهواء الرطيب

(١) يلاحظ أن الجدة العجوز كانت مشلولة ، وأن

سيليزيت هى التى كانت تعنى بها

يلوح لي أنها تتحاشى تناول ما وقع ، وما كنت أنا لأعود إلى البحث فيه . ومع ذلك فقد كان ما بيننا شيء من الاحتراس بالرغم من أننا عدنا إلى ما كنا تعودناه من علاقات الجوار . فكان في عدم تقيدنا شيء من الكلفة . وكأننا كنا نسرُّ إلى نفسنا : « لقد كانت الحال على هذا النوال من قبل فلنستمر عليه » وكانت تمنحني ثقتها كأنها تعيد إليَّ حرمتي

فأرى في صنعها شيئاً تراح نفسي إليه . غير أن أحاديثنا تولاها شيء من البرود لأن عينيها كانتا تتناحيان خلسة فلا يبقى وراء الحديث ما يتكلف الفكر اكتشافه . وقد كان كل منا يحاول من قبل أن ينفذ بحديثه ما يجول في خاطر الآخر فأصبحنا ولا تقدير لكل منا يتجسس به ما تنطوي عليه الكلمات وما تضمه العواطف . وقد كانت تعاملني بكل لطف فأحاذر لطفها ، وكنت أذهب متمشياً معها في الحديقة ولكنني انقطعت عن مرافقتها إلى الخارج فلم يعد لنا أن نجتاز الغابات والوديان معاً . وعندما كنت أنفرد بها كانت تفتح البيانو وتشد ؛ غير أن صوتها لم يعد يثير في قلبي من الشباب ما يستخفه ليدفع بأنين كأنه هتفة الآمال .

ولما كنت أخرج من بيتها مودعاً كانت تمد يدها إلي ؛ وحين أقبض على أناملها أحس أن لا حياة فيها . فلقد كان في ارتياحنا كثير من المجادلة ، وفي كلامنا كثير من التفكير ، ويسود كل ذلك كثير من الأسى المكبوت .

لقد كنا نشعر بأن ما بيننا ثالثاً هو حيي لها ، وما كنت لأبديه بأية إشارة مني ، غير أن وجهي كان ينم عنه . وفقدت مرحي وقوتي وما كان على خدي من نضارة العافية . وما مضى شهر على حتى تبدل حالي ولم يبق من شبه بيني وبين من كنته



من أعماق النفوس

استغفار في العصر

لألفريد رويس

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الجزء الثالث

الفصل التاسع

وأرسلت لي مدام بيارسون في المساء كتاباً موجهاً إلى ر. د. د. في استراسبورغ ، وما مضت ثلاثة أسابيع حتى كنت قد قت بالمهمة وعدت من سفرى . وما كنت انقطعت عن التفكير فيها أثناء غيابي فعملت أن لأمل لي في نسيانها يوماً . غير أنني كنت مصمماً على الاحتفاظ بصمتي أمامها ، لأن ما أقدمت عليه من المجازفة وما تلاها من خطر فقدى لها وما تحملت من الآلام في موقعي ، كل ذلك كان يصدني عن التعرض مرة أخرى لهذه الأخطار ، وما كان احتراي لها ليدع مجالاً لارتياي بإخلاصها ، وما خطر لي قط أن إقدامها على مبارحة البلاد كان تصنماً ، ولذلك كنت على ثقة من أن أول كلمة غرام أتفوه بها ستكون سبباً لا يصادها الباب في وجهي ولما لقيتها رأيته شاحبة متغيرة وكانت بسمتها كأنها ترتمي ارتقاء على شفقتها المتقنتين .

وقالت لي إنها كانت مريضة

ولم يدر بيننا أي حديث عما جرى . وكان

لقد أرسلت الله ملاك أنوار رفعني من اللجة المظلمة
فما رسالتك إلا سبيل الخير ، ومن يدري إذا حكم على
بالابتعاد عنك إلى أية الهاوى تطرحني أحزاني وما
اختبرته من الحياة في أوائل صباي وما سيفعل بي
تضجيري وملالي .

وكان لهذه الفكرة التي أعبر عنها باخلاص
شديد التأثير على امرأة لها مثل هذه التقوى ومثل
هذه الروح المضطربة في عقيدتها .

وكنت أستعد يوماً للذهاب إليها فاذا بالبواب
يقرع وبمركائسون يدخل علي وهو الكاهن الذي
كنت رأيته من قبل في حديقته ، فبادرني باعتذارات
أثقل من شخصيته عن إقدامه على زيارتي دون سابق
معرفة . فقلت له إنني أعرفه وأعرف عمه كاهن القرية
وسألته عما يريد .

فظهرت عليه الحيرة وبدأ يقلب عينيه يمينا وشمالاً
ويداعب الأوراق الموجودة على الخوان أمامه كمن
يفتش على ما سيقول ، وأخيراً وفق إلى القول إن
مدام بيارسون مريضة وإنها كلفته أن يلفني عدم
إمكانها مقابلاتي في ذلك اليوم .

فقلت : أمرضة هي ؟ وكيف ذلك وقد فارقها
أمس في ساعة متأخرة وهي على أحسن حال .

وانحنى الكاهن مسلماً فاستوقفته قائلاً : هب
أنها مريضة فهل من موجب لإرسال من يلفني
ذلك ؟ وهل بيتها بعيد عني لتقصّد توفير النساء
بوصولي إليه ؟

وبقي صامتاً وبقيت مستغرباً فقلت له أخيراً :
— لا بأس : سأراها غداً فتطعنني على جلية الأمر
وعاد إلى حيرته فقال إن مدام بيارسون قد
عهدت إليه أيضاً بإبلاغني أنها حد مريضة ولا
يمكنها أن تستقبلني إلى أسبوع .

غير أنني كنت لا أزال أذكر كرهى للعالم
ونفوري من العودة إليه . فكنت أحاول جهدي
أن أقنع مدام بيارسون بأنها تحسن صنعا بارجاعي
إليها . وكنت أصور لها أحياناً ما صرّ من أيامى بأقمت
الألوان ، ملمحاً لها بأنني سألجأ إلى عزلة خير منها
الفناء إذا ما اضطررت يوماً إلى الافتراق عنها ؛ وكنت
أقول إنني أكره المجتمع فيؤيد قولي ما كنت سرده
لها تفصيلاً من وقائع حياتي . وكنت أحياناً أنظاها
بمبح كاذب لا يصدقه قلبي كأنني أريد أن تعلم أنها
أنقذتني من أفضع المصائب . وكنت كلما ذهبت
لزيارتها لا أغفل عن تكرار شكرى لها لأن تمكن
بذلك من العودة إليها في المساء وفي صباح اليوم
التالى ، فكنت أقول إن جميع آمالى ومطامحي
محصورة في الحديقة الصغيرة التي تقطنين ، فليس لي
أن أحيأ إلا حيث الهواء الذي تستنشعين .

وما كانت آلامى لتعزب عن شعورها فأراها
لا تستطيع مقاومة إشفاقها على ما أبدى من مجالدة
وحزم ، فكانت كل حركاتها وسكناتها أمامى ثم عن
لينها ، فأنها كانت تشهد المراكب القائم بين جنبي
فتبدو نخورة باطاعتي لها ؛ غير أن شحوب وجهي
كان يثير في قلبها ما انطوى عليه من إشفاق الممرضات
فكانت تبدو أمامى في بعض الأحيان مضطربة إلى
حد الدلال فتقول بلهجة مداعبة : — لن أكون
هنا غداً . أو تمين يوماً تمنعني الحضور فيه . وإذا
كانت ترى مستغرباً في الحزن تلتطف قائلة : لا أعلم ؛
على كل حال تعال . أو تزيد في رقتها وتذهب لتشييعني
حتى الحاجز فتزودني بنظرة تترقق العذوبة في حزمها .
وكنت أقول لها : تنى أن العناية قادتنى إليك ؛
ولو أنني ما عرفتاك لكنت عدت إلى ضلالاتي .

وانحنى مسلماً وولى .

— عرفته من الخادمة . فهاهو السبب ياترى فى

إيصاها الباب دونى وفى إرسالك بمثل هذه المهمة إلى ؟ ورأى مركانسون أحد الفلاحين ماراً بنا فناداه باسمه قائلاً له : لى معك كلام فانتظر .

وتقدم الفلاح نحونا وكان ذلك ما يرجوه الكاهن لعله بأئنى لن أتمادى فى الحديث أمامك ؛ وهكذا اضطررتى إلى سحب قبضتى عن ساعده ولكننى دفعته بشدة حتى أنه تراجع فجأة واصطلم ظهره بشجرة وقته السقوط . فحرق الأرم وذهب دون أن يفوه بكلمة .

ومضى الأسبوع على وأنا على أحر من الجمر ، أذهب كل يوم إلى باب مدام بيارسون فأراه موصداً بوجهى ، وتلفتت أخيراً منها كتاباً تقول فيه إن تكرر زيارتى لها قد أصبح موضوع قل وقيل فى البلد ، فهي لذلك ترجو أن أقلل من عدد هذه الزيارات . وكان كتابها مقصوداً على ذلك فهي لم تأت على ذكر مرضها ولا على ذكر مركانسون .

وكدت لا أصدق أن الكتاب منها لأول وهلة لما أعلمه من أخلاقها وعدم مبالاها بكلامى وقيل وترفعها عن إخضاع ضميرها لغيرها ، ولكننى اضطررت أخيراً إلى إرسال كتاب أقول لها فيه إننى لا أجد بداً من إجابة نداء قلبى والخضوع ، وما كانت عباراتى إلا لئنم عن مرارة لم يسعنى كتابها ولم أذهب لزيارتها فى اليوم الذى سمحت لى فيه بالقدوم إليها لأثبت لها أننى لم أخدع بخبر مرضها وما كنت لأعرف السبب الذى دعاها إلى إقصائى عنها ، فذهب بى الحزن كل مذهب حتى سئمت الحياة ، وخطر لى أن أتحرك منها فكنت أمضى طوال الأيام فى الغاب حتى مرت ذات يوم صدفة حيث كنت

ولم يكن من ريب عندى فى أن وراء هذه الزيارة سرّاً . إن مدام بيارسون تريد ألا أقابلها لسبب لا أعرفه ، فهل كان مركانسون يقوم بهذه المهمة من تلقاء نفسه ؟

ومضى النهار وتبعه الليل فهضت مبكراً وقصدت بيت مدام بيارسون فوجدت الخادمة أمام الباب ، وإذا استوضحتها الأمر قالت إن سيدتها مريضة وحاولت عبثاً أن أجبرها إلى الاعتراف حتى بنفجها شيئاً من المال فلزمت الصمت ولم تبج بشئ .

وفى عودتى إلى القرية صادفت مركانسون على المنزه وحوله تلامذة عمه فدعوته إلى كلمة أقولها له على انفراد ، ومشييت فتبعنى إلى الميدان ، وهناك رأيتنى متردداً حائراً لا أعلم ما أقول له لأنزع منه سره . وأخيراً قلت : أرجوك يا سيدى أن تعلم لى الحقيقة عما أخبرتنى به أمس : أمهى مريضة أم إن هنالك أمراً آخر ؟ فأنت تعلم أن ليس فى هذه الجهات طبيب يعتمد ، وفوق ذلك فإن لدى أسباباً أخرى لها أهميتها تدعونى إلى الوقوف على جلية الأمر فصمد الرجل بوجهى لا يحول عما قاله أولاً ، وأضاف إلى ذلك قوله إنها هى دعتة إليها وكلفته إبلاغى ما أعلنه لى . وكنت وصلت وإياه إلى ممر ضيق عند مدخل الشارع وضقت ذرعاً بهذا الرجل المتصلب فقبضت على ساعديه فجأة فدعروا قل : أتريد إرغامى بالقوة ؟ — لا ولكننى أريد أن تتكلم .

— إننى لا أخاف أحداً وقد قلت ما يجب أن أقوله .

— لقد قلت ما يجب لا ما تعلم . إن مدام بيارسون ليست مريضة .

— وكيف عرفت ذلك ؟

فراثنى على أسوأ حال وما جسرت على طلب الايضاح منها إلا تلميحاً. فلم تجب بصراحة، وهكذا أكرهتنى على ألا أحاول تناول الموضوع مرة أخرى.

و كنت أعد الأيام التي تفصلنى عنها حتى إذا جاء ميعاد الزيارة هرعته بها وأنا مصمم على الانطراح أمام قدميها لأشرح لها حالي وما وصلت إليه من اليأس آملاً إثارة إشفاقها، ولكننى كنت أذكر ما فعلت أولاً ويتمثل أمامى رحيلها وقسوتها فيستولى على الذعر وأحاذر فقدتها وكنت أفضل الموت على هذا البلاء.

وهكذا كان مقضياً على أن أتعذب ولا أنفَس بالشكوى فما طار في الجال حتى تهدمت قواى، وكنت أحس بوهن ركبتى عن حملى إلى بيتها لأننى كنت أشعر بأن ليس فيه غير ما يستدرف دمعى؛ وما عدت مرة من زيارتها إلا لأطلق عنان مدامعى كأننى أبارحها كيلاً أراها بعد.

أما هى فكانت تخاطبني بلهجة لم أعهد لها فيها من البرود فتسألنى رأى فى مباء حبتها البلاد ولا تردد فى أن تقول لى إليها أصبحت تشتت الرحيل. فأقف واجهاً أمام هذه المحادثة وأنا أقرب إلى الموت منى إلى الحياة. وما كانت تعود لحظة إلى حالتها الطبيعية حتى أراها ترتد فجأة الى تصنع البرود القتال. وخانى الجلد يوماً فتساقطت دموعى أمامها وشكوت بالرغم منى فرأت الأصفرار يعلو وجهها. ولما وقفت على بابها مودعة قالت: إننى سأذهب غداً الى سان لوس «وهي قرية على مسافة غير بعيدة» وبما أننى أفضل الذهاب راكبة فاحضر غداً على فرسك لمرافقتى إذا لم يكن لديك ما يمتنع.

و هكذا هم الرجال. ولاحظت هى لأول وهلة أننى أرمقها شزراً وأن فى سيمائى تغيراً. وانتجيت الجهة الثانية من الطريق وسرت لا أنطق بكلمة. وكنا نقطع السهل فأراها هادئة تدير لحاظها نحوى من حين إلى آخر لتتأكد أننى ما أزال أتبعها. ولكننا ما بدأنا نصعد الجبل متوغلين بين الأشجار وما بدأت حوافر فرسينا تترع الصخور حتى رأيتها ترتعش فجأة. وتوقفت حتى أصبحت على مقربة منها فانطلقت مسرعة وأنا أتبعها حتى وصلنا إلى المنحدر فاضطرت إلى تخفيف السير، وعندئذ اقتربت حتى حاذيتها وكنا كلانا مطرقين فشعرت بأن الزمن قد حان فقلت:

— هل أتعبتك شكواى يا بريجيت؟ وهل أزعجك منى أننى بعد أن عدت إلى مشاهدتك لا أرجع من مسكنك إلى مسكنى مرة دون أن أسأل نفسى ما إذا كانت لم تزل بعيدة عن الموت؟ لقد قضيت شهرين وأنا أذوق الأمرين وأكتم ما أعانيه

و حضرت فى الميعاد المضروب مبكراً، وكنت قضيت الليل متقبلاً على مهاد السرور ولكننى عندما

و حضرت فى الميعاد المضروب مبكراً، وكنت قضيت الليل متقبلاً على مهاد السرور ولكننى عندما

و حضرت فى الميعاد المضروب مبكراً، وكنت قضيت الليل متقبلاً على مهاد السرور ولكننى عندما

و حضرت فى الميعاد المضروب مبكراً، وكنت قضيت الليل متقبلاً على مهاد السرور ولكننى عندما

و حضرت فى الميعاد المضروب مبكراً، وكنت قضيت الليل متقبلاً على مهاد السرور ولكننى عندما

سببا لفقداني إليك . لقد كفاني غرامي دموعاً وآلاماً
وقد طال الأمد عليّ وأنا أكرم جبا جنوبيا برى
أحشائي ، وقد بلغت بك القسوة ...

ورأيته تتحفز للوثوب من صهوة جوادها
فتقدمت والتقيتها بذراعي ملصقاً شفتي بشفتيها .
وعلا وجهها الاصفرار فأطبقت جفونها فسقط
الزمام من يدها وارتعت عني الأرض .

وصحت : يا لله ! إنها تحبني
وكانت قد بادلتني قبلتي فسارعت إلى رفعها عن
المرج ففتحت عينها ومشى الارتعاش فيها يهزها
هزاً فدفعت يدي عنها وانهمرت دموعها فهبت
تطلب الفرار .

وكنت لا أزال واقفاً جنب الطريق أنظر إليها
وهي أجمل من الضحى وقد استندت إلى جذع شجرة
وأحمل شعرها متساقطاً على كتفيها وبداها ترتجفان
وقد علا الاحمرار وجهها كأنه الأرجوان تلتصع عليه
لألى الدموع .

وصاحت : لا تقرب مني . لا تتقدم خطوة
واحدة نحوي .

فقلت : لا تخاف يا حبيبتى ! إذا كنت أسأت
إليك فأترلى بي عقابك . لقد تولاني نائر الألم لحظة
فأفعل بي ما تشائين ولك أن تذهبي الآن ، كما لك
إرسالى إلى أية جهة تريدن ، فأنا أعرف الآن أنك
تحبيننى يا ريجيت فأنت في هذا المكان تتمتعين بأمان
لا يتمتع به الملوك في قصورهم المنيمة .

ونظرت إلي عندئذ بعينيها الداميتين فرأيت
سعادة الحياة تغمرنى ، فتقدمت إليها وجثوت أمامها
وما يحب الحب الجهم من بوسعه أن يتذكر
الكلمات التي أعلنت بها من يهوى أنها تهواه .

فليكس فارس

من هذا الحب الذى يرتمي حشاشتي ويقتلني ، وأنت
ساهية كأنك لا تعلمين بحالى . إرفعى رأسك قليلاً
وانظرى إلى . أفى حاجة أنت لأثبك ما أتى من
الأوصاب وما تفعلين لي الليالى أقضيها باكياً على نفسي
لقد مررت يوماً في هذا الغاب المروع فرأيت
شقياً موجعاً أستاذ جبينه إلى راحتيه ؟ أمّا نظرت
إلى رشاش دمه فوق هذه الأعشاب ؟ انظرى إلى
وإلى هذه الجبال أمّا خطر لك أننى أهواك وقد
عرفت بتولهي هذه الصخور وهذه الأرجاء المنفرة
وكلها شهود غرامي .

لماذا أتيت بي أمام شهودى عليك ؟ أمّا كفأك
ما أتحمّل من بلاء ؟

أبخوننى الجلد الآن ؟ أمّا ترين أننى ذهبت إلى
أبعد مدى في طاعتك ؟

إلى أى التجارب تعرضيننى ؟ بل أي تعذيب
تعدينه لي على جناية لا أعرفها ؟ ماذا أتيت تفعلين
هنا إذا كنت لا تحبيننى ؟

فصاحت : فلنذهب من هنا . أرجعنى من حيث
أتيت .

فقبضت على زمام فرسها قئلاً : لالين نعود ،
لأننى بحث بما أضمره ، فإذا رجعتنا فقدتك إلى الأبد ؛
وهذا ما لا أحجله وأنا أعرف مقدماً ما ستقولينه
لي عندما ندخل بيتك . لقد أردت ابتلاء صبرى
وتحديث آلامي ولعلك قصدت بذلك إيلاء نفسك
حق طردى . لقد أتعبك هذا العاشق الحزين ، يتحمل
آلامه كأنما أمره كارعاً حتى الثمالة كأس احتقارك .

وكنت تعلمين أننى إذا ما انفردت بك أمام هذا
الغاب في هذه العزلة التي نشأ فيها غرامي ونما لن
أتمكن من التغلب على نفسي ، فأردت أن تعرضى
نفسك للاهاته . اصنعي لي ياسيدتى وليكن ما أقوله

روعة ما حدث . حتى نهضت أربنا الملكة ، ذات
الذراعين العاجيتين ، فقالت : «أيها الفياشيون كيف
أنتم وهذا المهاجر النبيل الذي زادت الآلهة بسطة في
العقل والجسم ، وأضفت عليه هذا البهاء ، وذات الرواء ؟
إنه ضيف ، بيد أنكم تشركونني في ضيافته والاحتفاء
به ، تخليق بكم ألا تسرحوه على عجل كما يجب ، بل
حرى بكم أن تستبقوه أياماً حتى تخلعوا عليه ،
وتقدموا له أطرف الهدايا وأعز الثياب ، وتقيموا عليه
مما حببكم السماء . فكلكم غني جم الغنى ، ثرى
واسع الثراء » . وتكلم البطل إكخيوس ، أكبر
أمرأء فياشيا وأتقدمهم : «إن ملككم ذات
المجد والكبرياء يا أصدقاء ، لا تبدى رغبة فحسب ،
بل هي تصدر عن إرادة عالية وأمر سني . فخذنا
لو أضخمتم وصدعتم ... على أن كل شيء هو رهين
بعشيئة الملك ، فليز إذن رأيي . » وقال الملك : «إني
أوافق على ما رأت الملكة . زهرة فياشيا سيده البحار
ليبق الضيف إلى غد إذن ، برغم ما يحده من الشوق
إلى بلاده ، حتى أسمع عليه ، وأدبر أمر عودته التي
يعني بها الجميع » وكأنما صادف مقال الملك هوى
في فؤاد أودسيوس فبهض وقال : « ألكينوس :
يا ملك فياشيا العظيم : بودي لو بقيت هنا عاماً بأكمله
ليتم الملك نعمته علي ، وليدبر أمر عودتي سالماً إلى
أرض الوطن ... فما أجل أن أعود بالمعطايا والهدايا
والنعم ، لأملأ عيون مواطني ، ولأكسب احترامهم
وأنال محبتهم بعد طول النأى وفدح البعاد »

فأجاب الملك : « لله ما أروع ما حدثت
يا أودسيوس : ويكأنما حدثت بلسان ساحر عليم بهرج
القصص ويوشى الأخبار ، ويزوق ويزوق ، في
زكاته وفعطائه وحذق وترتيب : أبدأ ما حملت هذه



الأولاد نيسبر

لهو ميردس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فصل من الفصل السابق

« أبحر أودسيوس إلى الدار الآخرة (هيدز)
ليلقى نيرزياس السكهن الطيب كي يعرف له عن عودته
إلى بلاده . فبعد أن ضحى لأنه الموت وزجه وجزر
الغرايين للأشباح الهائمة في دار الفناء أقبل إليه نيرزياس
فأخبره بما سعى إليه ، ثم رأى شبح أمه فكلمها
وقد أخبرته بما تم في بيته من أحداث وضأته على
وفاء زوجه بلوب وعدم خضوعها لما أراد العشاق
قسرها عليه وحدته عن ابنه نيكوما أخذ نفسه به
من صيانة ممتلكات أبيه ثم أنبأته عن والده الرجل
الشيخ الذي اعتزل الدنيا في ركن سحيق من حقوله
يا كيا على أودسيوس . وقد لقي أودسيوس طائفة من
عذارى اليونان وأزواجهن اللاتي توفين في غضارة
الشباب ونضارة العمر فكلمنه وروين له قصصه . وهو
يسرد فيما يلي طائفة أخرى من مشاهداته في هيدز »

أودسيوس يروي قصته (٢)

وسكت أودسيوس ، وصمت الجمع المحتشد في
الردهة الملكية فكان على رؤوسهم الطير من

الأرض ألب منك ولا ألبق في رواية وتحديث ؛
وأبدأ تساكبت الموسيقى والنغم الحلو من لسان
كلسانك الذرب الحبيب ؛ ولكن ماذا عندك من
أخبار الأبطال الأغريق ، الصيد الصناديد ، الذادة
المذاويد ؟ حدث يا أوديسيوس ! قل ، قص علينا
أخبارهم ؛ أرايت أحداً ممن شهد معك وقائع طروادة ؟
إن الليل ما يزال في عنفوان يا صاح ، وما بأعيننا
من سنة فتأوى إلى فراشنا في مثل تلك الساعة ؛
هلم فحدثنا ، فبنا من حديثك شغف ، وكلنا إليه
شوق ، ولو حدثت حتى مطلع الفجر ، إن لم ينل
منك وصب أو يعبك ملال »

وقال أوديسيوس : « بورك سيد فياشيا الملك
الكنيوس ! ما يزال في الوقت متسع للحديث وللنوم
معاً ، وإن شئت حدثتك طائفة من الأحاديث عن
أبطال الأغريق سواء منهم من توى تحت أسوار
طروادة ومن أفلت من الموت ثمة فترصده المنايا في
أرض وطنه ، صيباً من كف زوجة الأثيم الزنيم !
إليك إذن ... وحينها هتفت برسفونيه - ربة هيدز -
بأشباح العذارى وأرواح الحسان فتكبحن واثنين
عنى إلى ظلمات دار الفناء ، بدا لي طيف أجا ممنون
- بن أترپوس - ومن حوله كوكبة من أشباح
الذين قتلوا معه في داره بيد إيجستوس ... أهرع
إلى الدماء فرشفت منها رشقات ، ثم نهض فعرقي ،
وكلما شاعت فيه رعدة من الدهشة والذعر ،
وتحدثت دموعه الحار السخينة فوق خديه ، ثم
مد إلى ذراعيه يود لو عانقني ، ولكن ... والأسفاه !
وهل يعانق الشبح إنسياً ؟ ! ونال مني الحزن
فكسيت لهذا المنظر القادح الأليم ، وقلت أكله في

أسلوب بائس وعبارة باكية : « ويحك يا ابن أترپوس
يا ملك الدنيا العظيم ؟ ! ماذا جرعتك كأس المنايا ؟
خبرني ! هل جرعتها في قرار أليم مفارقة بيد نبتيون
أم فوق ظهر الأرض حين كنت تسوق قطعانك ،
أم قتلت وأنت تحارب من أجل بنات أخايا إذ هن
محاصرات خلف أسوار مدينتهن ؟ ! » فقال يجيني :
« أوديسيوس الزعيم النبيل ؛ يا ابن ليرتس الحكيم :
أبدأ ما مت مفارقة بيد نبتيون ، ولا فوق ظهر
الأرض في حومة حرب زبون ، بل ذبحني اللثيم
إيجستوس بعد أن دبر غيلتي مع زوجتي الآثمة ،
حين ملق^(١) لي وبالع جهده في الاحتفال بي ، ثم
ذبحني كما يذبح الثور في مذوده ، وكر على رجال
فذبهم كما تذبح الخنازير لوليمة في عرس أو في حفل
لزعيم عظيم . أوه أوديسيوس ! لا جرم أنك قد
شهدت ألف معركة ومعركة جندلت فيها أبطال وراء
أبطال ، بيد أنها جميعاً لم تك شيئاً في ذلك الحديث
الرهيب ! لقد هوبنا تتخبط في دماننا التي ضرجت
الأرض ، تحت أخاوين^(٢) حافلة بأطيب الآكال
وأشهى الأشربات ... ثم ... جالجت في أذني
الصرخة الرهية ، صرخة ابنة بريام ، فكانت ما
أروع وما أفدح ! لقد انبطحت على الأرض إلى
جانب كاسندرا ، قتيلة بيد زوجتي كليتمسترا ...
ومع ذاك لم أفقد الأمل يا صديقي بل حاولت أن
أمتشج جرازي ، لكن الخائفة انسحبت كالأفمى .
ولم تعبأ بي ، بل لم تشأ أن تغمض عيني ، أو تسند
ذقني ، في اللحظة التي أوشكت أطرق فيها أبواب
هيدز ؟ ! وبلاه ! ويلي على المرأة التي طاوعتها يداها

(١) ملق فلاناً وملق له تودد .

(٢) أخاوين وخون وأخونة جمع خوان .

فأتت هذا المنكر ، وارتكبت إثم قتل زوجها
ورفيق صباها ! !

لقد حسبت حين عدت أدراجي أنني سأقابل
بالأهل وبالسبل ، من أبنائي وأهلي وحاشيتي ،
ولكنها ... الفاجرة الغادرة ، التي برزت بفجورها
كل صنوف الفجور ، قد سحبت على نفسها أذيال العار
والخزي ، بل هي قد سحبت أذيال العار والخزي على
كل أنثى لم تر النور بعد ، وعلى كل الصالحات
الطيبات من بنات جنسها .

وسكت أجائمون ، فقلت بدوري : « يا سماء ! !
ما أقسى ما قضت يد زيوس على بيت أثريوس ، منذ
البدء ! كاه من الأنثى ! : الأنثى دائماً ! لقد قتلنا في
غير رحمة ولا رفق من أجل هيلين ^(١) ؟ وتدير لك
كلية منسترا تلك الفعلة بينما أنت نازح بعيد عن
ديارك ! ! »

قال : « من أجل ذلك أوصيك ألا تلين
عريكته لامرأة قط ، وألا تجعلها موضع شرك
ومحل ثقتك ، بل إن أسررت لها بشيء ، فنجبى ،
عنها أشياء ، هذا وإن تكن زوجك وفيه خالصة
لك ، لا يخشى عليك منها رهن ، ولا غدر كهذا
الغدر ، لأنها ابنة إيكاريوس وحسب ذات الحصافة
واللب ، لقد غادرناها ولما نزل عروسا يوم غادرناها
إلى اليوم ، وعلى صدرها الوفي ولدك الحبيب ، الذي
شب ليحمل اسمك ، وبعلى في الخافقين ذكرك ،
والذي ينتظرك لهفان ليضمك إلى صدره يوم تعود
إلى إيثاكا ... وإنك إلى إيثاكا لعائد ، وبذا قضت
الآلهة ... أما أنا فوأسفأ على أورست ، ولدى

(١) التي فر بها باريس وكانت سبباً في حروب طراودة

المسكين ، الذي قتلتنى الغادرة قبل أن أتروء منه
نظرة ! اسمع يا أوديسيوس ، إصغ إلى ، إني سأقـ
عليك من كنوز خبرتي وتجاربي ، عليك بالسرف
أوبتك إلى وطنك . واستعن على رحلتك بالكتمان
لأنه لا ثقة في امرأة بعد اليوم ^(١) . ولكن اصدقني
بربك ، أين يأوي ولدى الآن ؟ هل يقيم في بيلوس ؟
أم يشوى في أرخومينوس ؟ أم هو يستدري بذرى
جده ، أمى الحبيبة ، في قصرها النيف بأسبرطة ؟
إنه ما يزال حياً يرزق ، ولم يأو بعد إلى دار الظلال
هيدز . » واعتذرت إليه أنى لا أعلم إذا كان حياً
يرزق أو أنه غدا من أشباح هيدز ، وظللتنا نتحدث
شجون الحديث ، ونذرف الدموع على كل ذكرى
حتى وافى شبح أخيل البطل ، ابن بليوس العتيد ،
وفى إثره شبح ترثه بتركولوس العظيم ، وبمقربة
منه طيف أنتيلوخوس يتدهدى مع طيف البطل
المنوار أچاكس الذي امتاز ببسطة الجسم وجبروت
المظهر على الجميع ما عدا بيليدس وحده . . وعرفني
شبح العداء الكبير إياسيدس ^(٢) فقال يخاطبني في
خفة وظرف : « أوديسيوس يا رجل الدهاء والخدع
أى تدبير ليست فيه تدابيرك الماضية وحيلك السوالمف
شيئاً ما ، أنى بك إلى هذه الدار أضيف أنت ؟ أم
هو طيشك وقلة مبالاةك جعلاك تفرب في دياجير
هيدز ؟ هيدز الرهبة بيت الأرواح والظلال
والأشباح ؟ » ووجهت الجواب عن تساؤله إلى أخيل
فقلت : « أخيل ! يا ابن بليوس العظيم ، يا أشجع أبناء
أخايا قاطبة ، لقد سمعت إلى هنا لألقى الكاهن الطيب
(١) وهكذا عاد فاستمسك برأيه في النساء حتى في بلوب
(٢) قد يكون أخيل .

وعز ، وتجليك الناس كأحد آلهتهم ، وها أنت تحكم هنا وتنهى وتأمُر على جميع هؤلاء الموتى ، فما أجدر بك ألا تأسى لأنك مت هذه الموتة في الدار الأولى » وأجابني على الفور : « أودسيوس ياذا الذكي ، لا تخالنّ عزاء يخفف من وطأة الموت ! لقد كنت أوتر لو أعيش في الدنيا كأحقر الأجراء الأذلاء ، وأتبلغ بلقمت قليلات لا تقيم أود الشيخ الفاني ، على أن أقيم هنا مملكا في جميع هذه الأشباح والتهاويل ! ! ولكن تعال ! هلم فحدثني عن ولدي الحبيب ، هل وصل ما انقطع من حياتي الحربية ، أم هجر السيف وطلق المعمة ؟ وحدثني عن أبي بليوس الكريم ، أما يزال يتمتع باحترام الناس وتبجيلهم وحب الميرميدون ^(١) وفدائهم ، أم تجرد من الأبهة ونزل على حكم الشيب والكبر ، والأيام التي أوهنت عظامه ؟ أو اه يا أبتاه ! ليس لك اليوم أخيل كان ينشر الرعب في جنبات طروادة ؟ أو اه لو وسعني أن أعود إليك لحظة ، إذن أقسرت الناس على الخضوع لك ، ولأدغمت كل جبار عصي على تمليقك وذل العبودية لك بدل الثورة بك ، وقلة الاحتفال بشيخوختك . » وقلت أجيبه : « أنا لا أعلم لي بما كان من أمر بليوس أليك ، ولكني ذاكر لك ما تراهي إلى من أخبار ولدك نيوبتلموس لأنني حملته على سفاتي من سكيروس إلى الجيوش تيرزياس ليعرف كيف أصل إلى شطآن إيثاكا الصخرية لأنني عييت بالزوابع والمواصف في عرض اليم ، فما استطعت أن أصل إلى أخايا أو أن أرسو في بلادى .. إنني أغبطك يا أخيل من أعماقي ! فلقد عشت في هنا ،

(١) يحسن بالتأري أن يذكر أن أخيل قتل قبل سقوط طروادة .

كبير الآلهة ، الذي ماينفك يصب لعنته على جيوش
 آخايا ، هو الذي قضى عليك بالموت . أيها البطل
 هلم نحوى كيما تسمع إلى الكلام الطيب الذي أجهد
 أن أترضاك به ؛ لتخمد جذوة الغضب على في نفسك ،
 ولتجسم ما بيننا من خصام : « بيد أنه ما حرك شفتيه ،
 بل لوى عنانه وانخرط في جماهير الأشباح الهائمة ،
 وترك الرغبة الملحة المشتعلة في صدرى شوقاً إلى
 تكليمه تنطفيء رويداً ... فقلبت نظري في الأرواح
 القريبة عسى أن أعرف منها أحداً فأحدث إليه ،
 فلدحت بينها ميتوس سليل جوف الأكبر ، وكان
 يجلس على عرش ممرد للقضاء بين الموتى ، وفي يمينه
 صولجانه الذهبي الثمين ، ومن حوله زرفت جموع
 سكان هيدز ، فمنهم الواقف ومنهم الجالس ، ومنهم
 المنتصب يشرح للقاضي شكواه ، ويبته بلواه ، بينما
 قد أهطعت الرؤوس وانحبست النفوس ، وتكأ كأت
 الموتى عند البوابات الكبيرة الهائلة تنتظر دورها ...
 ثم راعى أن أرى بين تلك الجموع أوريون الجبار
 يسوق قطعانه التي ذبحها بيديه في الدار الأولى ،
 وهو يرعها على أوراق البرواق ... ورأيت فيمن
 رأيت تيتوس الجبار ، سليل هذه الغبراء ، وقد كان
 منبطحاً على الأرض بحيث يشغل فضاء تسعة أفدنة ؛
 وعلى كل من جنبيه أفموان هائل أرقمى يفتدى
 بحضن من كبده الكبير الدامى ، وينقب من
 أحشائه الغيلاظ ، جزاء بما حاول أن يستذل لاتونا
 اللعوب الطروب ، عشيقة جوف سيد أولمپ ، التي
 فرت من وجهه في بطائح يبتو إلى فراديس بانوبيوس .
 ثم رأيت تانتالوس في ضعف من العذاب ؛ رأيت
 يتخبط في عين حمئة من حيم ، وقد غاص فيها إلى

علينا ، وأبنا منها بالغنائم والأسلاب والسبي نظرت
 إليه قبل أن يبحر فما وجدته يشكو رَمِيَّةً ، ولا
 يئن من جرح ، ولا أثر في جسمه لخدش مما تصنع
 الحرب ، وما ثبت فقال مارس . »

وزهي أخيل من كثرة ما أثبتت على ولده فراح
 يتخايل ويدل وسط شجر البرواق^(١) ... وكانت
 جموع من أشباح الموتى تملأ الرحب ، وقد جلس
 كل أوهام على وجهه يبكي ويشكو بشه لغير سميع ...
 وقد رأيت بينهم شبح صديق التيلاموني - أچاكس -
 وكان يحدجني في الفينة بعد الفينة ، ولكنه لم يشأ
 أن يكلمني ! ! آه ! إنه ما يزال ينقم عليّ ما شجر
 بيني وبينه من نزاع على عدة أخيل (بعد مقتله) ،
 وما كان من طلب زيتيس^(٢) ألا بليس دروع ولدها
 سوى ، ثم ما كان من تأييد ميترفا للأم الرؤوم فيما
 طلبت . لقد كان انتصاراً لي ، كم كنت أوتر ألا
 يكون ، لأنه كان فيما يبدو سبب مقتل أچاكس
 العزيز ، أچاكس المغوار ، الذي لم يكن فينا من هو
 أشجع منه إلا أخيل نفسه ... ولقد وجهت إليه
 ألين الخطاب لأقل من سورة غضبه . فقلت له :
 « أيها العزيز أچاكس ، يا ابن تيلامون المجيد ، أما
 تستطيع أن تغضى ، وأنت في الدار الآخرة ، عما
 شجر بيننا بسبب هذه العدة المشؤومة ؟ لعنتها الآلهة
 من عدة كتبت فوقها صحيفة موتك ، نخسرنا فيك
 أشجع فرساننا وأعظم مقاتلينا ؛ إنا ما نفتأ نبكيك
 ونشكو رزاًنا فيك ، ونعد فقدك كفقداً أخيل
 نفسه ؛ ولكن لا تثرِب على أحد قط ، فجوف ،

(١) شجر كان يزرعه اليونانيون على قبور موتاهم وقد
 ذكره الفيروز آبادي .

(٢) أم أخيل وهي إحدى عرائس الماء .

ذقته ، والوج يضرب وجهه ويسعفه ، وهو مع
ذاك يلهث من الظما ، لا يجد ما يبل به غلته ، أو
يطفىء جُوداه وصداه ! فهو إن حتى رأسه غمره
الحلم ، وإذا رفع جسمه كزّت الأرض على قدميه
بأمر ربها ، فهو في عذاب مقيم . . . ولله أشجار
الفاكهة دائية قطوفها فوق رأسه ، من رمان حلو
وتفاح عطري ، وتين معسول وزيتون ، كلما انتهى
أن يقطف ثمرة وكاد ، هبت الرياح عاتية فذهبت
الفصون عالية في السحاب . . . ثم رأيت
سيسفوس ذا الأنياب يضني ويشقى ويتعذب ؛ يدفع
أمامه حجراً جلوداً عظيماً فيجعله في رأس جبل ،
حتى إذا انتهى إليه غاضت الأرض من تحته بقوة
خفية فكانت بئراً عميقة ، فيهوى الحجر من عل ،
فيعود المسكين إلى نَصَبه عوداً . . . على بد ،
ويتحدر عرقه على جسمه العظيم ، ويتبخر من
رأسه كأنما ينقذف من بركان ! . . . ثم شهدت
هرقل الحديدي القوى الجبار . . . شبحه فقط ،
لأنه هو قد منح بركة الآلهة وخلودها ، فهو أبداً
يحضر ولائهما في شفاف الأواب . . . شهادته
يحتضن ابنة خوف الجميلة المقتان ، هيب ، ذات
القدمين الناصعتين ، والفعلين الذهبيتين ؛ رأيت
وأشباح الموتى ترف من حوله صافات كالطير ، ثم
يقبضن . . . وراعى أن أراه عابساً كالحأ كقطعة
من الظلام ، وقد حملق بعينه في الأرض وفي يديه
قوسه وسهامه يوشك أن يرميها ، وعلى وسطه حزامه
الرائع الموه بالذهب ، وقد نقش عليه صور مئات
من الدية والدُّوبان والسباع ، يتقدح الشرر من

عيونها وتداب في عواء وزئير وتقاتل ونهش ، صنعة
معجزة لم يقدر على مثلها أحد من قبل ولا من
بعد . . . وما كاد يتبينني حتى عرفني ، وظل يقلب
في عينيه السادرتين ، ثم قال لي : « آه يا ابن ليرتيس
النبل ذا المجد ما أتمسك ! ! ما أظنك إلا معنياً
ببعض المجازفات التي كنت أشغف بها في حياتكم
الدنيا . . . ها أنت ترائي هنا ، في ظلمات هيدز ،
عبداً رقيقاً لإله أحقر مني شأنًا وأقل قدراً ، لأنني
وأنا ابن جوف الأعظم ، قد كتب علي أن أشقى
هنا لأصل آلام الحياة ولأواءها . . . أتصدق أنه
يأمرني أحياناً أن أسوق كلبه ، مع ما في هذا الأمر
من سخرية وتحقير ؟ ولكني لن أنسى أني جذبته
من مملكته هيدز إلى نور الحياة الدنيا بمساعدة أخي
هرمز ، وعمونة مبرقا ذات العينين اللازورديتين »
ثم هام على وجهه في ظلمات مملكة بلوتو . . . ثم
تلبثت أنا مكاني راجياً أن ألقى غير من لقيت من
أرواح الأبطال الذين عرفتهم في الدار الأولى ،
أولئك العظماء ذوي العزة والمجد . . . وكم وددت أن
أرى بيريثوس وثيديوس سليلي الآلهة . . . بيد أن
جوع الموتى الحاشدة التي أقبلت تصرخ قذفت
الرعب في قلبي . وخفت أكثر أن ترسل برسفونيه
ملكة هيدز ، رأس الجرجون من ظلمات هيدز
فتفعل بي الأفاعيل . . . فأثرت أن أسرع إلى
مركبي ، وأمرت الملاحين فأقلعوا ، وجلسوا على
الظهر ، وحملنا تيار سريع عبر البحر المحيط بعد أن
أعملنا المجاذيف وقتاً غير طويل .

در بنى هيب

« بنع »